

العقيدة

(١)

الإصدار الأول
١٤٤٠هـ-٢٠١٩م







العقيدة

(١)

إعداد مجموعة زاد

الإصدار الأول

١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م





ح مجموعة زاد للنشر، ١٤٣٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الفريق العلمي في مجموعة زاد
العقيدة./ الفريق العلمي في مجموعة زاد.- الرياض، ١٤٣٩هـ
٤مج. ٢١×٢٧.٥سم
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٢٣٤-١٧-٤ (مجموعة)
٩٧٨-٦٠٣-٨٢٣٤-١٨-١ (ج١)
١- العقيدة الإسلامية ٢- التوحيد ٣- الإيمان (الإسلام)
أ. العنوان
ديوي: ٢٤٠ ١٤٣٩/٤٢٥٧

نشر زاد
المملكة العربية السعودية - جدة
حي الشاطئ - بيوتات الأعمال - مكتب ١٦
موبايل: ٦٤٣٢ ٤٤٤ ٥٠ ٩٦٦+، هاتف: ٦٩٢٩٢٤٢ ١٢ ٩٦٦+
ص.ب: ١٢٦٣٧١ جدة ٢١٣٥٢
www.zadgroup.net

الإصدار الأول
الطبعة الأولى: ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م

توزيع العبيكان
المملكة العربية السعودية - الرياض
طريق الملك فهد - مقابل برج المملكة
هاتف: ٤٨٠٨٦٥٤ ١١ ٩٦٦+، فاكس: ٤٨٠٨٠٩٥ ١١ ٩٦٦+
ص.ب: ٦٧٦٢٢ الرياض ١١٥١٧
www.obeikanretail.com
























بسم الله الرحمن الرحيم



كلمة الناشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد.

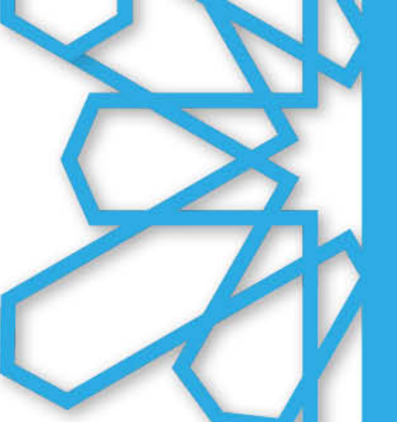
فإن العلم الشرعي من أهم الضرورات التي يحتاجها المسلمُ في حياته، وتحتاجُها الأمةُ كلُّها في مَسيرتِها الحضاريةِ؛ لذا جاءت النصوص الشرعية في الإعلاء من شأنه وشأنِ حامِليه، قال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨] قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المرادُ بأولي العلمِ هنا علماءُ الكتابِ والسُّنةِ»، وقال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، وفي الحديث: «من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة» رواه مسلم.

وتأتي هذه السلسلة العلمية خدمة للمجتمع، بهدف إيصال العلم الشرعي إلى الناسِ بشتّى الطُّرُقِ، وتيسير سبلهِ، وتقريبه للراغبين فيه، ونرجو أن تكون رافدة ومعينة للبرامج العلمية والقراءة الذاتية وعونًا لمن يبتغي التزود من العلم والثقافة الشرعية، سعيًا لتحقيق المقصد الأساسِ الذي هو نشرُ وترسيخُ العلمِ الشرعي الرصينِ، المبني على أسسٍ علميةٍ صحيحةٍ، وفقَ معتقدٍ سليمٍ، قائمٍ على كتابِ اللهِ وسنةِ رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بشكلٍ عصريٍّ ميسَّرٍ، فنسأل الله تعالى للجميع العلم النافع والعمل الصالح والتوفيق والسداد والإخلاص.

***



سلسلة
زاد العلمية



العقيدة
(١)




١
مقدمات
في العقيدة
الصحيحة

سندرس في هذه الوحدة



مقدمات في العقيدة الصحيحة

مَعنى العَقيدةِ الصَّحيحةِ، وأَهَمِّيتُها

تعريف العقيدة الصحيحة:

العقيدة في اللغة: من العقد؛ وهو الربط والإحكام والشد بقوة.

والعقد نقيض الحل، يقال: عقده يعقده عقدًا، ومنه عقدة اليمين والنكاح، قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾ [المائدة: ٨٩].

مرادفات لفظ العقيدة:

للعقيدة الإسلامية أسماء أخرى عند السلف، منها: (التوحيد)، (السنة)، (أصول الدين)، (الفقه الأكبـر)، (الشريعة)، (الإيمان).

والعقيدة اصطلاحًا: (الحكمُ الذي لا يقبل الشكَّ فيه عند مُعْتقِدِه).

وعرّفها بعضهم بقوله: (الأمورُ الثابتةُ الجازمةُ التي يَنعقِدُ عليها قلبُ الإنسانِ ولا يَشُكُّ فيها).

والصَّحيحةُ: أي: السَّالمةُ مِنَ العيبِ والخطأِ.

تعريف العقيدةِ الصَّحيحةِ:

الإيمانُ الجازمُ بالله، وما يجب له، في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، كما تتضمن الإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين وأمور الغيب وأخباره.

فلابد من انعقاد القلب على ذلك انعقادا جازما؛ لا شَكَّ فيه ولا ريبَ؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ [الحجرات:١٥] أي: لم يَشُكُّوا في إيمانِهم.

وأدلة ذلك الآتي:

١

قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾ [البقرة:١٧٧].

٢

قولُه تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ [البقرة:٢٨٥].

٣

حديثُ عُمرَ بنِ الخطابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ جبريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَأَلَ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الإيمانِ؟ فقال له: «أَنْ تُؤْمِنَ باللهِ ومَلائِكَتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ واليَومِ الآخِرِ وتُؤْمِنَ بالقَدَرِ خَيرِهِ وشَرِّهِ». أخرجه مسلم.

أهمية العقيدة

تَظهرُ أهميةُ العقيدةِ الصَّحيحةِ من خلالِ الأمورِ الآتية:

١

أنَّها الأَساسُ في قَبولِ العملِ الصالحِ عندَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ؛ والذي بهِ تكونُ النَّجاةُ في الآخرةِ والفَوزُ بالجَنَّةِ بعدَ رحمةِ اللهِ جَلَّوَعَلَا؛ كما قالَ تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[التوبة: ٧٢].

وعَلى العكسِ منْ ذلك ؛ فَإنَّ العَملَ لا يُقبلُ عندَ اللهِ تعالى إذا كان صاحبُه على عقيدةٍ فاسدةٍ؛ وبالتَّالي تكونُ خَسارتُه في الآخرةِ؛ كما قالَ تعالى: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [المائدة: ٥]، وقالَ تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٥].

ومعنى ﴿حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ في الآيةِ الأولى؛ أو ﴿لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ في الآيةِ الثَّانيةِ: بُطلانُ ذلكَ العملِ وذهابُ ثوابِهِ؛ فلا يبقى له وزنٌ عندَ اللهِ جَلَّوَعَلَا؛ فيكونُ صاحِبُه خاسرًا؛ غيرَ رابحٍ في الآخرةِ.

٢ أنَّها الأصلُ في دعوةِ الرُّسلِ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ جميعا؛ فَما منْ رسولٍ بَعثَهُ اللهُ في قومِهِ إلا ودَعاهم لهذهِ العقيدةِ الصَّحيحةِ أوَّلَ ما دَعاهم إليهِ، وكان الاهتمامُ بها أشدَّ الاهتمامِ؛ كما قالَ تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

فائدة إثرائية

و(الطَّاغوتُ): هو كُلُّ ما عُبِدَ منْ دونَ اللهِ، وكان راضيًا بذلك.

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

٣ أن العقيدة ضَروريةٌ للإنسانِ أكثرَ من ضَرورته للهواءِ والماءِ؛ إذْ بدونِها لا يَعرفُ الإنسانُ الإجابةَ الحقيقيةَ الصَّحيحةَ عنْ أسئلةِ البشرِ الكبرى:

من أينَ جِئتُ؟ ولماذا خُلقتُ؟ وإلى أينَ أذهبُ بَعدَ الموتِ؟

فماذا كانت النتيجة؟

ما نَراهُ اليومَ من البؤسِ والشَّقاءِ وانتشارِ الأمراضِ النَّفسيةِ وحالاتِ الانتحارِ الكثيرةِ؛ حتى في الدُّولِ الغنيةِ التي تَزعمُ التقدُّمَ والحضارةَ؛ كما هو الواقعُ في دولٍ كـ(السُّويد)، و(الدَّانمرك) وغيرها.

إنَّ العقيدةَ الصَّحيحةَ فَقطْ هي التي تُجيبُ عن تَلكَ الأسئلةِ الكبرى وغيرها منَ الأسئلةِ التي يحتارُ فيها البشرُ بكلِّ حقٍّ وصدقٍ؛ بحيثُ يمتلئ القلبُ يَقينًا وطُمَأْنينةً وسُكونًا وأَمْنًا وإيمانًا.

٤ أَنَّها السَّببُ في حُصولِ الأمنِ والهدايةِ في الدُّنيا والآخرةِ؛ كما قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٢]، ومعنى ﴿وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ ﴾ أي: لم يَخلطوا إيمانَهم بشركٍ.

ولذلك؛ فإنَّ ما نَجدهُ اليومَ منْ خللٍ في الأمنِ وكثرةٍ للشَّرِّ والفَسادِ والفتنِ والقتلِ في العالمِ الإسلاميِّ بعامَّةٍ، والعالمِ العربيِّ بخاصَّةٍ؛ فَإنَّما هو نتيجةٌ لضعفِ العقيدةِ الصَّحيحةِ في نفوسِ النَّاسِ، أو لِظهورِ ما يُناقِضُها أو يُخالِفُها منْ أعمالٍ أو أقوالٍ، كما سَيأتي بيانه.

٥ أَنَّها السَّببُ في فَتحِ البركاتِ مِنَ السَّماءِ والأرضِ؛ كما قال تعالى: ﴿ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الأعراف: ٩٦].

ميزاتُ العقيدةِ الصحيحةِ

- فطرية
- واضحة
- وسطية
- تقوم على البرهان
- ثابتة

ميزات العقيدة الصحيحة

تتميز العقيدة الإسلامية الصحيحة عن عقائد الأديان الباطلة والطوائف المبتدعة بمزايا كثيرة تجعلها أحرى بالقبول، منها:

١- أنها عقيدة واضحة سهلة بعيدة عن التعقيدات، ليس فيها أشياء غامضة، ولا جوانب محتكرة لرجال الدِّين.

٢- أنها عقيدة فطرية تلائم الفطرة ولا تصادمها.

٣- أنها عقيدة ثابتة لا تتغير ولا تتطور بتعاقب الأجيال، فلا مجال فيها للزيادة والنقص، ولا تقبل التحريف والتبديل، أما غيرها من العقائد فقد زيد فيها ونقص منها؛ لأنها كانت تخضع لأهواء الحكام والرهبان.

٤- أنها تقيم البراهين الساطعة والحجج الباهرة على كل مسألة فيها، قال تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ [الأنعام: ١٤٩].

٥- أنها عقيدة وسطية، لا إفراط فيها ولا تفريط، ولا غلو ولا جفاء.

مَصادرُ تَلقِّي العقيدةِ الصحيحةِ

تقدَّم تعريف: (العقيدة الصَّحيحة وأهميتها)، وهنا ندرس أمرا في غاية الأهمية، ألا وهو:

من أينَ نَأْخُذُ هَذهِ العقيدةَ؟ وهو ما يُعبَّرُ عنه ب (مَصادرِ تَلقِّي العقيدةِ الصَّحيحةِ)؛فَما هَذهِ المصادرُ؟ وما الدَّليلُ عليها؟

قَبلَ أنْ نَذْكُرَ هَذهِ المصادرَ والأَدِلَّةَ عليها نُؤَكِّدُ على حَقيقةٍ شرعيةٍ قَطْعيةٍ؛ وهي أنَّ العقيدةَ الصَّحيحةَ: (عَقيدةَ التَّوحيدِ) عقيدةٌ فِطْريَّةٌ؛ بمعنى أَنَّ الأصلَ في بني آدمَ كُلِّهم هَذهِ العقيدة؛ وأَنَّ الإنسانَ مُنذُ خَلقَهُ اللهُ وأَوجدَهُ على هَذهِ الأرضِ، فَإنَّ في نَفْسهِ هَذهِ العقيدةَ، من مَعْرفةِ اللهِ جَلَّوَعَلَا، وتَوحيدِه، والفَزعِ إليه وقتَ الشِّدةِ، ومحبتهِ؛ وأَنَّهُ مُؤَهَّلٌ لقبولِ الحقِّ واختيارهِ، وقد دلَّ على هَذهِ الحقيقةِ العَديدُ مِنَ الأَدِلَّةِ؛ منها:

1

قولُهُ تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠].

والحنيفيةُ: هي الإسلامُ وأركانُه؛ كما هو تفسيرُ أَئِمَّةِ السلفِ رَحِمَهُمُاللَّهُ.

والفطرة: هي الطَّبع السويُّ، والجِبلَّة المستقيمة، التي خُلق النَّاسُ عليها، والمتهيئة لقبول الدِّين الحق.

٢

ما أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «كُلُّ مَولودٍ يولَدُ على الفِطْرَةِ، فَأَبَواهُ يُهَوِّدانِهِ أو يُنَصِّرانِهِ أو يُمَجِّسانِهِ، كَمَثَلِ البَهيمَةِ تُنْتِجُ البَهيمَةَ، هَلْ تَرى فيها جَدْعاءَ؟!».

وفي لفظٍ آخرَ: «ما من مَولودٍ إلّا يولَدُ على الفِطْرَةِ، فَأَبَواهُ يُهَوِّدانِهِ ويُنَصِّرانِهِ أو يُمَجِّسانِهِ، كما تُنْتَجُ البَهيمَةُ بَهيمَةً جَمْعاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فيها من جَدْعاءَ؟!».

والجَمعاءُ: هي مُكتملةُ الأَعضاءِ، وأَمَّا **الجدعاءُ**: فَهي مَقطوعةُ الأَطرافِ.

ثُمَّ قال أبو هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [الروم: ٣٠]. متفق عليه.

٣

ما أخرجه مسلمٌ عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظينِ مُختلفينِ، فيهما التَّصريحُ بأَنَّ الفطرةَ هي: (مِلَّةُ الإسلام)، وهُما:

أ. «ما من مَولودٍ يولَدُ إلاَّ وهو على المِلَّةِ».

ب. «ما من مَولودٍ يولَدُ إلاَّ على هذه المِلَّةِ، حَتَّى يُبَيِّنَ عنه لِسانُهُ».

٤

عن عياضِ بنِ حِمارٍ المُجاشِعيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال ذاتَ يَومٍ في خُطْبَتِهِ وفيه: «وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبادي حُنَفاءَ كُلَّهُمْ، وإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّياطينُ فاجْتالَتْهُمْ عن دينِهِمْ، وحَرَّمَتْ عليهم ما أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكوا بي ما لم أُنْزِلْ بِهِ سُلْطانًا». أخرجَهُ مسلمٌ.

(**حُنَفاءُ**): جَمعُ حَنيفٍ، وهو: المائِلُ عَنِ الأَديانِ كُلِّها إلى فِطرةِ الإسلامِ.

مصادرُ التلقِّي

المصدرُ الأوَّلُ ١ القرآنُ الكريمُ

القرآنُ الكريمُ: اسمٌ لكلامِ اللهِ المُعْجِزِ المُنزَّلِ على عَبدِهِ ورسولِه مُحمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كَما قال تعالى في شَأنِهِ: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٥].

الأدلة: دَلَّت الأَدِلَّةُ الكثيرةُ على أَنَّ القرآن حُجَّةٌ، يَجبُ أَنْ تُؤخذَ مِنهُ العقيدةُ، ومن ذلكَ ما يأتي:

١- أَنَّ اللهَ أَمرنَا باتِّباعِهِ، وَنَهانَا عنِ اتِّباعِ غَيرِه؛ كَما قَال تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٣].

٢- أَنَّ كُلَّ ما فيه حقٌّ وصِدقٌ؛ كَما قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَـٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾ [البقرة: ١٧٦]، وقال سُبْحانَهُ: ﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٩٥]، وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٨٧]، وقال: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٢].

٣- أَنَّهُ مَحفوظٌ مِنَ العبثِ والتَّحريفِ؛ كَما قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

تابع الأدلة:

٤

أَنَّه الحَكَمُ الذي فيه التَّفصيلُ والبيانُ؛ كَما قال تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ [الأنعام: ١١٤].

٥

أَنَّهُ الفُرقانُ بينَ الحقِّ والباطلِ؛ كَما قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان:١].

والفُرقانُ هو: القرآنُ؛ لأَنَّ الله تعالى فَرَّقَ به بَينَ الحقِّ والباطلِ.

٦

أنَّ اللهَ أَمرَ بالتَّحاكمِ إليه عِنْدَ التَّنازعِ والاختلافِ؛ كَما قال تعالى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء:٥٩]، وقال جَلَّوَعَلَا: ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [الشورى: ١٠].

٧

أَنَّهُ هو القولُ القاطِعُ الذي يَفْصِلُ بينَ الجدِّ والهزْل، وهو أَبعدُ ما يكونُ عَنِ الباطلِ واللَّعبِ؛ كَما قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴾ [الطارق: ١٣-١٤].

السُّنَّةُ النبَويَّةُ الصَّحيحةُ

٢ المصدرُ الثَّاني

السُّنَّةُ النبَويَّةُ الصَّحيحةُ هيَ: ما ثَبَتَ عَنِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالسَّندِ الصَّحيحِ؛ مِمَّا نُقِلَ عنه من قولٍ، أو فِعلٍ، أو تَقريرٍ.

الأدلة:

دَلَّتِ النُّصوصُ الكثيرةُ على أَنَّ السُّنَّةَ النبوية حُجَّةٌ، يَجِبُ أخذُ العقيدةِ مِنهُا، ومنْ ذلكَ:

١ قولُهُ تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

٢ قولُهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١].

٣ قولُهُ سُبْحانَهُ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

٤ عن أبي رافع رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا أعرفنَّ الرجل يأتيه الأمرُ من أَمْري، إما أمرتُ به أو نهيتُ عنه، فيقولُ: ماندري ماهذا؟! عندنا كتاب الله ليس هذا فيه**». أخرجه الأربعة إلا النسائي، وصححه ابن حبان.

تابع الأدلة:

٥

عَنِ المِقْدامِ بنِ مَعْدي كَرِبَ الكِنْديِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلا إنِّي أوتيتُ الكِتابَ ومِثْلَهُ مَعَهُ، أَلا إنِّي أوتيتُ القُرْآنَ ومِثْلَهُ مَعَهُ**». أخرجهُ أحمدُ، وصححه الأرناؤوط.

(**وَمِثْلَهُ مَعَهُ**) يعني: السُّنَّةَ.

٦

قالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما رَواهُ العِرْباضُ بنُ ساريَةَ عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**فَعَلَيكم بسُنَّتي، وسنة الخلفاء الرَّاشِدين المهْديين منْ بعدي، تمسَّكوا بها، وعضُّوا عليها بالنَّواجِذِ**». أخرجهُ أحمد والترمذيُّ، وصححه.

٧

وقد دلَّ الإجماعُ أيضًا على حُجِّية السنة النبوية، قال الشافعي: «**ولا أعلم من الصحابة ولا من التابعين أحدًا أُخبر عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إلا قَبِل خبرَه وانتهى إليه، وأثبتَ ذلك سنةً**».

إجماع السلف الصالح رَحِمَهُمُ اللَّهُ

٣ المصدر الثالث

السلف لغة: هم الجماعة المتقدمون، يقال سَلَفَ ويَسْلُف، أي: مضى، وسَلَفُ الإنسان: آباؤه المتقدمون.

وللسلف عدة أسماء، منها:

أهل السنة والجماعة:

وسموا بأهل السنة لتمسُّكِهم بسنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والجماعة لأنهم اجتمعوا على اتباع سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما حصل عليه الإجماع.

الفرقة الناجية:

سموا بذلك لنجاتهم من النار أو من الفتن، بتمسُّكِهم بالسنة، كما في حديث معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّ أَهْلَ الكِتابَينِ افْتَرَقوا في دينِهِمْ على ثِنْتَينِ وسَبْعينَ مِلَّةً، وإنَّ هذه الأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ على ثَلاثٍ وسَبْعينَ مِلَّةً -يعني الأَهْواءَ- كُلُّها في النَّارِ إلاَّ واحِدَةً، وهِيَ الجَماعَةُ» أخرجه أحمد والترمذي، وحسنه الألباني.

الفِرْقةُ المنصورةُ:

لأنهم منصورون إلى قيام الساعة؛ لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَلَنْ تَزالَ طائِفَةٌ من أُمَّتي مَنْصورينَ لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقومَ السَّاعَةُ». أخرجه أحمد والترمذي، وصححه.

الأدلة:

مِمَّا يَدُلُّ على أَنَّ هذا الإجماعَ حُجَّةٌ يَجِبُ الرُّجوعُ إليه في العقيدةِ؛ ما يأتي:

١

قولُه تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

٢

قولُهُ ﷺ فيما رَواهُ العِرْباضُ بنُ ساريَةَ عنه رضي الله عنه: «فَمَنْ أَدْرَكَ ذلك منكُمْ فَعليه بسُنَّتي وسُنَّةِ الخُلَفاءِ الرَّاشِدينَ المَهْديِّينَ،عَضُّوا عليها بالنَّواجِذِ» تقدَّم.

٣

عن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «إنَّ اللهَ لا يَجْمَعُ أُمَّتي -أَو قال: أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ- على ضَلالَةٍ، ويَدُ اللهِ مَعَ الجَماعَةِ». أخرجهُ الترمذيُّ، وصححه الألباني.



العقلُ: يمكن أن يدرك بعض مقررات علم العقيدة، مثل أن الله موجودٌ، واحدٌ، حيٌّ، عليمٌ بالخلق، قادرٌ، حكيمٌ مستحقٌّ للعبادة وحده دون سواه، ونحو ذلك.

لكن لا يمكن أن يستقل بمعرفة وإدراك تفاصيل هذا العلم، إذ لا تُدرك التفاصيلُ إلا من منقول الكتاب والسنة.

إذا وجد ما يوهم التعارض بين النقل الثابت الصحيح، والعقل الصريح وجب تقديم النقل لسببين:

الأول: أن النقل ثابت، والعقل متغير.

الثاني: أن النقل معصوم، والعقل ليس كذلك.

المراد بالنقل الصحيح: القرآن الكريم والسنة الثابتة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والمراد بالعقل الصريح: السليم من الانحراف والشُّبَه.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «**ما عُلِم بصريح العقل لا يُتصوَّر أن يعارض الشرع البتة، بل المنقول الصحيح لا يعارضه معقول صريح فقط. وقد تأملت ذلك في عامة ما تنازع الناس فيه، فوجدت ما خالف النصوص الصحيحة الصريحة شبهاتٌ فاسدةٌ، يعلم بالعقل بطلانها**».



أُصولُ أَهلِ السُّنَّةِ في إثباتِ مَسائلِ العقيدةِ

أَهلُ السُّنَّةِ لهم أُصولٌ في إثباتِ مَسائلِ العقيدةِ، يتمَيَّزونَ بها عن أهلِ البدعِ والضَّلالِ، وهي عَلى النَّحوِ الآتي:

١ الإيمانُ والتَّسليمُ والتَّعظيمُ لنصوصِ الكتابِ والسُّنَّةِ؛ بخلافِ أَهلِ البدعِ والضَّلالِ الذينَ يُؤمنونَ ببعضِ النُّصوصِ ويَرُدُّونَ البعضَ الآخرَ؛ بسببِ الجهلِ والهوى.

والأَدِلَّةُ عَلى هذا الأصلِ كثيرةٌ؛ منها:

أ. قولُهُ تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

ب. قولُهُ تعالى: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٥١].

ج. قولُهُ تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الحجرات: ١].

د. قولُهُ تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

٢

جَمعُ النُّصوصِ الواردةِ في البابِ الواحدِ، وإعْمالُها جميعًا وفقَ المنهجيةِ الصَّحيحةِ؛ بخلاف أهلِ البدعِ والضَّلالِ الذينَ يتخذونَ منهجًا مُخالفًا لذلك؛ فيَعتمدونَ على نصٍّ واحد أو أكثرَ، دونَ بَقيةِ النُّصوصِ الواردةِ في البابِ، ثم يجعلونه معارضا للأصول الأخرى، فيتبعون بذلك ما تشابه منه.

وقد حذَّر النبي ﷺ من ذلك، فعن عبدِ اللهِ بنِ عَمْرِو بنِ العاصِ رضي الله عنهما أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «مَهْلًا يا قَومِ، بهذا أُهْلِكَتِ الأُمَمُ من قَبْلِكُمْ، باخْتِلافِهِمْ على أَنْبيائِهِمْ، وضَرْبِهِمُ الكُتُبَ بَعْضَها ببَعْضٍ، إنَّ القُرْآنَ لم يَنْزِلْ يُكَذِّبُ بَعْضُهُ بَعْضًا، بَلْ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، فَما عَرَفْتُمْ منهُ فاعْمَلوا بهِ، وما جَهِلْتُمْ منهُ فَرُدُّوهُ إلى عالِمِهِ». أخرجه أحمد، وصححه الأرناؤوط.

٣

الاعتصامُ بالكتاب والسنة؛ فهما الهُدى والنُّور، عَلى نَقيضِ منهجِ أهلِ والبدعِ والضَّلالِ الذينَ يَعتمدونَ عَلى غَيرِ الوحي؛ **كما هو الحالُ مثلًا عِندَ الصُّوفيةِ الذينَ يَعُدُّونَ أقوالَ مَشايِخِهم ومَناماتِهم مَصدرًا للتَّشريعِ، ودَليلًا من أَدِلَّةِ الدِّينِ.**

والأَدِلَّةُ عَلى هذا الأصلِ كثيرةٌ؛ منها:

أ. قولُهُ تعالى: ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة: ١٦].

فقوله تعالى: ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ ﴾ أي: بالقرآن العظيمِ.

ب. قولُهُ تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣].

ج. قولُهُ تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩].

د. عن زَيدِ بنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أَمَّا بَعْدُ، أَلاَ أَيُّها النَّاسُ فَإِنَّما أَنا بَشَرٌ يوشِكُ أَنْ يَأْتيَ رسولُ رَبِّي فَأُجيبَ، وأَنا تارِكٌ فيكُمْ ثَقَلَينِ: أَوَّلُهُما كِتابُ اللهِ، فيه الهُدَى والنُّورُ فَخُذوا بكِتابِ اللهِ واسْتَمْسِكوا بِهِ». أخرجه مسلمٌ.

فائدة إثرائية

وَيَتفرَّعُ عن هذا الأَصلِ: إثباتُ ما أَثْبَتَهُ اللهُ ورسولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الكتابِ والسُّنَّةِ الصَّحيحةِ، ونَفْيُ ما نَفاهُ اللهُ ورَسولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الكتابِ والسُّنَّةِ الصَّحيحةِ، والسُّكوتُ عَمَّا سَكتَ عنه اللهُ ورَسولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦].

فائدة إثرائية

ويتفرَّعُ عن هذا الأصلِ كَذلِكَ: دفع التَّعارضِ بين هذهِ النُّصوصِ وما قد يفهمهُ العَقلُ منها مِمَّا يُخالفُ الحقَّ والصَّوابَ؛ على عَكسِ أهلِ البدعِ والضَّلالِ مِمنْ يُعطونَ العقلَ حجمًا أكبرَ منْ قَدْرِه؛ بحيثُ يُقدِّمونهُ على النُّصوصِ؛ وهَذا غُلوٌّ مذمومٌ؛ فَإنَّ العقلَ مَهْما أوتيَ مِنَ المكانةِ؛ فَإنَّ لَهُ حَدَّهُ الذي لا يَنبغي أَنْ يَتجاوَزهُ بحالٍ، ولا سيَّما في دائرةِ الغَيبيَّاتِ التي لم يَشْهَدْها، ولم يَدْرِ عنها شيئًا؛ لأنَّها بَعيدةٌ عن دائرةِ المحسوساتِ التي يَعملُ فيها.

فائدة إثرائية

والقاعدةُ عندَ أهلِ السُّنَّةِ: أَنَّهُ يستحيل أَنْ يَقعَ تَعارضٌ بينَ نصٍّ صَحيحٍ وعقلٍ صَحيحٍ؛ فَإنَّ الذي خَلقَ هذا العقلَ وهو اللَّطيفُ الخَبيرُ، هو نَفْسُهُ الذي أَنزلَ هذا الوحيَ الشَّريفَ على قَلبِ نَبيِّهِ الكَريمِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وإنْ وُجِدَ ما يوهِمُ هذا التعارضَ؛ فَإمَّا أَنْ يكونَ من جهةِ النَّصِّ بأَنْ يكونَ غيرَ صحيحٍ، وإمَّا أَنْ يكونَ من جهةِ العقلِ بأَنْ يكونَ فاسِدًا غيرَ صَحيحٍ؛ قد تَلوَّثَ بالهوى وسارَ في طُرقِ الباطلِ والضَّلال عياذًا باللهِ.

٤

فَهْمُ نُصوصِ الكتابِ والسُّنَّةِ الصَّحيحةِ على فهمِ الصَّحابةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ؛ على ضِدِّ أهلِ البدعِ والضَّلالِ، الذينَ تَعدَّدتْ مَواقِفُهم من هذا الفَهمِ ومن أَصْحابِهِ؛ فتَرى بَعضَ أَهلِ البدعِ كالخوارجِ والرَّافضةِ مثلًا يَطعنونَ في الصَّحابةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ؛ وبالتَّالي لا يَلتفتونَ إلى فهمِهم للنُّصوصِ الشَّرعيةِ.

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلى هذا الأصلِ عَددٌ مِنَ الأَدِلَّةِ؛ منها:

أ. قولُهُ تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

ب. وقولُهُ تعالى: ﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧].

ج. وقولُهُ تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٣].

د. قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما رَواهُ العِرْباضُ بنُ ساريَةَ عنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ منكُمْ يَرَ اخْتِلافًا كَثيرًا، وإِيَّاكُمْ ومُحْدَثاتِ الأُمورِ فَإِنَّها ضَلالَةٌ فَمَنْ أَدْرَكَ ذلك منكُمْ فَعليه بسُنَّتي وسُنَّةِ الخُلَفاءِ الرَّاشِدينَ المَهْديِّينَ، عَضُّوا عليها بالنَّواجِذِ». تقدم.

فائدة إثرائية

بدعة إعادة فهم النص:

مِنَ الأفكارِ المخالفةِ لهذا الأصلِ -أي فهم نصوص الكتاب والسنة على فهم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:
فِكرةٌ خطيرةٌ ظهرَتْ في هذا العصرِ، وهي ما تُسَمَّى ب(إعادةِ فَهْمِ النَّصِّ)!! وتَعْني هذهِ الفكرةُ عِندَ أَصحابِها أَنَّنا في هذا الوقتِ لسنا بحاجةٍ لفهمِ الصَّحابةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ وأَنَّ هذا الفهمَ كان لوقتٍ معينٍ مَضى وانْقَضى؛ وأَنَّ علينا أَنْ نفهمَ النُّصوصَ فَهْمًا آخرَ يَتناسبُ مَعَ الحياةِ المعاصرةِ: حياةِ التَّقدُّمِ والحضارةِ!!

وأَصحابُ هَذهِ الفِكرةِ يُطلَقُ عَليهم أَسماءٌ مختلفةٌ؛ مثل: (عَصرانيون، أو حداثيون، أو ليبراليون).

وَلا رَيبَ أَنَّ هَذهِ الفِكرةَ مخالفةٌ لأُصولِ أَهلِ السُّنةِ في الاعتقادِ من وجوهٍ كثيرةٍ:

أ. أَنَّها بدعةٌ مُنكرةٌ؛ لم تَكُنْ مَعروفةً عِندَ أَهلِ الإسلامِ في القرونِ الثلاثةِ، التي شَهِدَ لها النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالخيريةِ؛ كما قالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما رَواهُ عنه عِمْرانُ بنُ حُصَينٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «خَيرُكُمْ قَرْني ثُمَّ الذينَ يَلونَهُمْ ثُمَّ الذينَ يَلونَهُمْ ثُمَّ الذينَ يَلونَهُمْ». أخرجَه البخاريُّ ومُسلمٌ.

ب. أَنَّها مُخالفةٌ لما دَلَّ عليه الكتابُ والسُّنَّةُ الصَّحيحةُ من وُجوبِ التَّقيُّدِ بفهمِ الصَّحابةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ للنُّصوصِ الشَّرعيَّةِ، والحذرِ من كُلِّ ما يُخالفُ هذا الفهمَ، منْ بدعٍ وضَلالاتٍ مُنكرةٍ.

ج. أَنَّها تَدْخُلُ في بابِ تَحريفِ المعاني؛ ذلك بأَنَّ إعادةَ قراءةِ النَّصِّ تَعْني أَنْ يَفهمَ كُلُّ قارئٍ للنَّصِّ ما يَحلو لَهُ أَنْ يَفهمَ منهُ من مَعْنًى، بلا ضابطٍ يَضبطُ هذا الفهمَ؛ وبالتَّالي يكونُ للنَّصِّ الواحدِ معانٍ مُتعدِّدةٌ تُناقضُ المعنى الصَّحيحَ للنَّصِّ؛ وهذا هو: تَحريفُ المعْنى بعينِهِ؛ ذلك الذي وقَعَتْ فيه بَنو إسرائيلَ؛ كَما قال تعالى في شَأنِهم: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة: ١٣].

د. أَنَّها تَفتحُ بابَ الشَّرِّ والفسادِ؛ حيثُ تُصبحُ النُّصوصُ الشَّرعيةُ أُلعوبةً بيَدِ العابثينَ، يَفهمونَ منها ما يوافِقُ أَهواءَهُمْ وأَمْزِجَتَهُمْ؛ وبالتَّالي يَضيعُ الحقُّ والهُدى الذي أَرادهُ اللهُ جَلَّوَعَلَا من وراءِ هذه النُّصوصِ، وهَذا مُناقضٌ أَشَدَّ المُناقضةِ لحكمةِ اللهِ العظيمةِ في هِدايةِ النَّاسِ، وإخْراجِهم مِنَ الظُّلماتِ إلى النُّورِ؛ كما قال تعالى في شَأنِ كتابهِ العزيزِ: ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة: ١٦].

٥

ومن أصول أَهلِ السُّنَّةِ في إثباتِ مَسائلِ العقيدةِ:

الرُّجوعُ إلى لُغةِ العَربِ في فَهمِ المرادِ من نُصوصِ الكتابِ والسُّنَّةِ الصَّحيحةِ؛ إذا لم نَجِدْ بَيانًا لِهذهِ النُّصوصِ لِبعْضِها البَعضِ؛ فَإنَّ القُرآنَ أُنزلَ بلسانٍ عَربيٍّ مبينٍ؛ كَما قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف: ٢]، وقال جَلَّوَعَلَا: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ [طه: ١١٣].

نشاط

ضَعْ عَلامةَ (✓) أَمامَ العبارةِ الصَّحيحةِ، وعلامةَ (X) أَمامَ العبارةِ الخاطِئةِ في كُلٍّ مِمَّا يَأتي:

١. العَقيدةُ:هي الأمورُ الثَّابتةُ الجازمةُ التي يَشُكُّ فيها قَلْبُ الإنسانِ. (   )

٢. العَقيدةُ الخاطِئةُ أو الفاسِدةُ: هي العَقيدةُ المخالفةُ للدَّليلِ الصَّحيحِ مِنَ الكتابِ والسُّنَّةِ الصَّحيحةِ. (   )

٣. حُصولُ الشَّرِّ والفَسادِ والفتنِ والقتلِ في العالمِ الإسلاميِّ بعامَّةٍ، والعالمِ العربيِّ بخاصَّةٍ؛بسببِ تَمَسُّكِ النَّاسِ بالعَقيدةِ الصَّحيحةِ. (   )

٤. العَقيدةُ الصَّحيحةُ تُجيبُ عن أَسْئِلةِ البشرِ الكبرى: من أينَ جِئتُ؟ ولماذا خُلقتُ؟ وإلى أينَ أذهبُ بَعدَ الموتِ؟ (   )

٥. لا يَصِحُّ أَخْذُ العَقيدةِ مِنَ السُّنَّةِ النبَويَّةِ؛ لأَنَّها مَصْدرٌ غَيرُ مُعْتبرٍ. (   )

٦. من صِفاتِ أَهْلِ البدعِ: الإيمانُ والتَّسليمُ والتَّعظيمُ لنصوصِ الوَحْيِ. (   )

٧. الصُّوفيةُ يَعُدُّونَ أَقْوالَ مَشايِخِهم ومَناماتِهم مَصدرًا للتَّشريعِ ودَليلًا من أَدِلَّةِ الدِّينِ. (   )

٨. الفِكْرةُ التي تُنادي ب(إعادةِ قِراءةِ النَّصِّ):فِكْرةٌ عَظيمةٌ موافِقةٌ لأُصولِ أَهْلِ السُّنَّةِ في الاعتقادِ. (   )

٩. الشَّيطانُ هو: السَّبَبُ الأَعْظَمُ من أَسبابِ حَرْفِ النَّاسِ عَنِ العَقيدةِ الصَّحيحةِ. (   )

١٠. مِنَ الأُمورِ المَمْدوحةِ في الكِتابِ والسُّنَّةِ الصَّحيحةِ: (الغُلوُّ في الصَّالحينَ). (   )




٢
الانحراف عن
العقيدة
الصحيحة


سندرس في هذه الوحدة
أسبابُ الانحرافِ عن العقيدةِ الصحيحة
وسائلُ الوقايةِ من الانحرافِ عن العقيدةِ الصحيحةِ

أسْبابُ الانحراف عَنِ العَقيدةِ الصَّحيحةِ، ووَسائِلُ الوِقايةِ منها

أوَّلًا: أسْبابُ الانحرافِ عَنِ العَقيدةِ الصَّحيحةِ:

١ الجهل بالعقيدة الصحيحة:

بسبب الإعراض عن تعلمها وتعليمها، أو قلة الاهتمام والعناية بها؛ حتى ينشأ جيلٌ لا يعرفُ تلك العقيدة، ولا يعرف ما يخالفها ويضادها؛ فيعتقد الحق باطلًا، والباطل حقًّا، كما قالَ عمرُ بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إنما تُنقضُ عُرى الإسلام عروةً عروةً، إذا نشأ في الإسلام من لا يعرفُ الجاهلية».

٢ اتباع دعاة السُّوءِ وأئِمَّةِ الضَّلالِ؛ يَدُلُّ على ذلكَ ما يأتي:

أ. قولُهُ تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴾ [القصص: ٤١].

ب. عن حُذَيفَةَ بنِ اليَمانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يكونُ دُعاةٌ على أبْوابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أجابَهُمْ إلَيها قَذَفوهُ فيها». قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ، صِفْهُمْ لَنا. قال: «هُمْ قَوْمٌ من جِلْدَتِنا يَتَكَلَّمونَ بأَلْسِنَتِنا». أخرجه مسلم.

ج. عن ثَوبانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّما أخافُ على أُمَّتي الأئِمَّةَ المُضِلِّينَ». أخرجه أحمد والترمذي، وصححه.

د. عن عبدِ اللهِ بنِ عَمْرِو بنِ العاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقولُ: «إنَّ اللهَ لا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبادِ، ولكنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بقَبْضِ العُلَماءِ، حَتَّى إذا لم يُبْقِ عالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلوا فَأَفْتَوا بغَيرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وأَضَلُّوا». أخرجه البخاري ومسلم.



دعاة سوء:

وَلا يَزالُ دُعاةُ السُّوءِ وأَئِمَّةُ الضَّلالِ يَصُدُّونَ النَّاسَ عن صِراطِ اللهِ المستقيمِ، وعن دينِهِ القويمِ في قِديمِ الزَّمانِ وحديثِهِ.

ومن هَؤلاءِ: (السَّامِرِيُّ):

السَّامريُّ هو: رَجلٌ من قَومٍ كانوا يَعْبدونَ البقرَ؛ جيران لِبني إسرائيلَ، وقيلَ كان منهُمْ في زَمْنِ نَبيِّ اللهِ موسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ ولَمَّا ذَهَبَ موسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلقاءِ رَبِّهِ عَلى جَبلِ الطُّورِ؛ صَنعَ لِبني إسرائيلَ عِجْلًا من ذَهْبٍ؛ وزَعَمَ أَنَّهُ إلهُهُمْ وإلهُ موسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكانَ يَخْرجُ منهُ صَوتٌ كَصوتِ البقرِ؛ يُقالُ له: (الخوارُ)؛ وذلك بسببِ الهواءِ الذي يَدْخلُ فيهِ؛ وقد كان بَنو إسْرائيلَ حينَ يَرونَ ذلك يَرْقُصونَ حَولَهُ ويَفْرحونَ.

وهو الذي أضلَّ قومَ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عن عِبادةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ وزَيَّنَ لَهُمْ عِبادةَ العجلِ من دونِهِ جَلَّ وَعَلَا؛ كَما قال تعالى في شَأنِهِ: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ﴾ [طه: ٨٥].



وَمنهُمْ: (عَمْرو بنُ عامِرٍ الخُزاعيُّ):

فعن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَأَيتُ جَهَنَّمَ يَحْطِمُ بَعْضُها بَعْضًا، ورَأَيتُ عَمْرًا يَجُرُّ قُصْبَهُ -أي: أمعاءَه-، وهو أَوَّلُ مَنْ سَيَّبَ السَّوائِبَ» أخرجه البخاري ومسلم.

وَ(سَيَّبَ السوائب): أي أنَّهُ تَركَ النَّاقةَ تَذْهبُ كما تَشاءُ؛ بحيث لا تُرْكَبُ؛ ولا تُصَدُّ عن ماءٍ، أو مَرْعًى؛ نَذْرًا يَفْعَلُهُ تَقَرُّبًا لآلهتِهِمْ.

فرآه النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجُرُّ أَمْعاءَهُ في النَّارِ؛ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ غَيَّرَ دينَ إسْماعيلَ؛ فَنَصَبَ الأَوثانَ، ولأنه سيَّبَ السوائبَ.



وفي العصر الحديث: غلاة الروافض

وقد خالفوا أُصولَ أَهْلِ السُّنَّةِ في أُمورٍ كَثيرةٍ؛ منها [1]:

ردُّهم للأَحاديثِ النبَويَّةِ الصَّحيحةِ، وإنْكارُهم لَها بالهَوى والمزاجِ وليس بالقواعدِ الحديثيةِ التي عليها أَئِمَّةُ الحديثِ؛ ومن ذلك إنْكارُهم للأحاديثِ الصَّحيحةِ التي جاءتْ بيانًا مِنَ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِبعضِ الغَيبيَّاتِ من أَشْراطِ السَّاعةِ وعَلاماتِها، التي تكونُ في آخرِ الزَّمانِ؛ كما هو الواقِعُ في (الدَّجَّالِ)، و(نُزولِ عيسى) عَلَيْهِ السَّلَامُ، و(المهديِّ) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.



المَهْديُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هو: مُحَمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ العَلَويُّ الفاطِميُّ الحَسنيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، يُصْلِحهُ اللهُ في لَيلةٍ؛ أَي يتوبُ عليه،وَيوَفِّقُه، ويُفَهِّمُهُ،وَيُرشِدُهُ بَعْدَ أَنْ لم يَكُنْ كذلكَ، ويُؤَيِّدُهُ بناسٍ مَنْ أَهلِ المشْرقِ يَنْصُرونَهُ،وَيُقيمونَ سُلطانَه، وهو المَمْدوحُ الموعودُ بوجودِه في آخرِ الزَّمانِ، ويُبايعُ لَهُ عِندَ البيتِ الحَرامِ؛ ويَصيرُ خَليفةَ المسلمينَ.

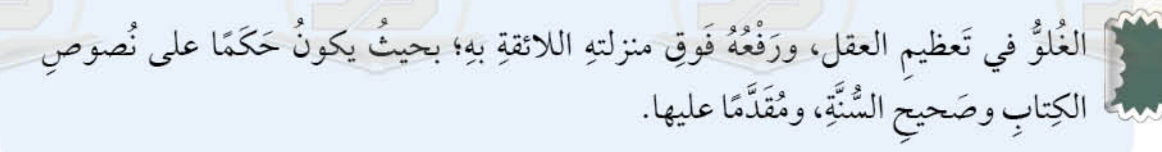


فائدة إثرائية

وليس المقصود من هذا المهديّ ما يزعمه الرافضة: أنّه موجود الآن، وينتظرون خروجه من سرداب سامُراء؛ إذ ذاك نوعٌ من الهذيان، وهَوسٌ شديدٌ من الشّيطان؛ حيث لا دليل عليه من كتاب ولا سنّة ولا معقول صحيح.



طَعْنُهُم في الصَّحابةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ؛ وبخاصَّةٍ في الصَّحابيِّ الجليلِ: مُعاويةَ بنِ أَبي سُفيانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ حيث يَقولون فيهِ: (إِنَّهُ بدايةُ كارِثَتِنا)!!



الغُلوُّ في تَعظيمِ العقلِ، ورَفْعُهُ فَوقَ منزلتِهِ اللائقةِ بِهِ؛ بحيثُ يكونُ حَكَمًا على نُصوصِ الكِتابِ وصَحيحِ السُّنَّةِ، ومُقَدَّمًا عليها.

---

(١) سيأتي مزيد بسط في هذا الموضوع على وجه الاستقلال.

المقطع للاطلاع فقط

ومن أَسْبابِ الانحرافِ عَنِ العَقيدةِ الصَّحيحةِ:

٣ اتِّباعُ الهَوى:

وهو اتِّباعُ ما تُحِبُّهُ النَّفسُ وتَشْتَهيهِ، مِمَّا قد يكونُ نافعًا لها، أو ضارًّا بها؛ والمقصودُ هنا ما كان ضارًّا بها؛ مُخْرِجًا لَها عن دائرةِ الحقِّ.

والأدلة عَلى ذلك:

أ. قولُهُ تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٣].

ب. قولُهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص: ٥٠].

فائدة إثرائية

٤ الغُلوُّ في الصَّالحين:

وهو الزِّيادةُ في مَدْحِهِم، ورَفْعُهُمْ فَوقَ مَكانتِهم؛ بأَنْ يُجعلَ لَهم شَيءٌ مِنَ العبادةِ؛ وذلك بالتقرب إلى أضرحتهم بالذبائح والنذور والقرابين، والدعاء والاستغاثة وطلب المدد، كما حصل من قوم نوح مع صالحيهم، حين قالوا: ﴿ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [نوح: ٢٣]، وكما هو الحاصلُ من عبَّاد القُبور اليومَ في كثير من الأمصار.

ومما يدل على تحريم ذلك:

أ. قولُهُ تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ [النساء: ١٧١].

ب. قولُهُ ﷺ: «يا أيُّها النَّاسُ، إيَّاكُمْ والغُلوَّ في الدِّينِ؛ فإنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كان قَبْلَكُمْ الغُلوُّ في الدِّينِ». أخرجه أحمد والنسائي، وصححه الألباني.

٥ التَّقليدُ الأَعْمَى

وهو مُتابعةُ الآباءِ والعلماءِ والسَّادةِ والكُبراءِ، والطَّاعةُ العمياءُ لَهُمْ من غَيرِ دَليلٍ ولا بُرهانٍ؛ وقد جاءَ هذا في أَدِلَّةٍ كَثيرةٍ؛ منها:

أ. قولُهُ تعالى: ﴿بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢].

ب. قولُهُ تعالى: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٧].

ج. قولُهُ تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ﴾ [التوبة: ٣١].

والمعْنَى: أَنَّهُمْ اتَّبَعوهُمْ في تَحْليلِ ما حَرَّمَ اللهُ وتَحريمِ ما أَحَلَّ بلا حُجَّةٍ ولا بُرهانٍ.

التقليد الأعمى في العصر الحديث:

وفي عَصْرنا الحديثِ: نَجِدُ مثالينِ بارزينِ لِهذا التَّقليدِ الأَعْمَى وتِلكَ الطَّاعةِ العَمْياءِ:

- طائِفَةُ (الصُّوفيةِ).
- طائِفَةُ (الرَّافضةِ).

اللَّتَينِ وقَعَتا في التَّقليدِ الأَعْمَى لِمشايخِ الضَّلالِ وأَئِمَّةِ السُّوءِ بغيرِ بَصيرةٍ أو بُرهانٍ.

وجَعَلوا الطَّاعةَ لَهُمْ طاعةً مُطْلَقةً عمياءَ؛ فأحدُهم مَعْ شَيخِهِ كالمَيِّتِ بينَ يَدَي مُغَسِّلِهِ، يُقَلِّبُهُ كَيف شاءَ.

ومن أَسْبابِ الانحرافِ عَنِ العَقيدةِ الصَّحيحةِ:

٦ اتِّباعُ سُبُلِ الضَّلالِ؛

و مِمَّا يَدُلُّ على ذلك:

قولُهُ تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

٧ الغَفْلةُ عن تَدبُّرِ آياتِ اللّهِ الشَّرعيةِ والكونية

وقد دَلَّ على هذا أَدِلَّةٌ؛ منها:

أ. قولُهُ تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [النحل: ١٠٨].

ب. قولُهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

ج. قولُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥].

٨ الكِبْرُ

وهو الذي يَدْعو صاحِبَهُ إلى رَدِّ الحقِّ، وعَدَمِ قَبولِهِ مِمَّنْ جاءَ بِهِ؛ بسببِ احتَقارِهِ؛ كما قال النَبيُّ ﷺ: «الكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ، وغَمْطُ النَّاسِ». أَخْرَجَهُ مُسلمٌ.

(وَبَطَرُ الحَقِّ): التَّكَبُّرُ عَلى الحقِّ فلا يَقْبَلُهُ.

(وَغَمْطُ النَّاسِ): احْتِقارُهُمْ والاسْتِهانَةُ بِهِمْ.

وإنَّ هذا السَّببَ الخَطيرَ لَهو الذي أمالَ رَأْسَ الشَّرِّ ومَنْبَعَهُ وأَساسَهُ: (إبْليسَ) عَنِ الحقِّ المبينِ؛ كَما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٣٤].

وقد كان أَيضًا هو السَّببَ الرئيسَ في مَيلِ غَيرِهِ من الأُمَمِ الكافرةِ عَنِ اتِّباعِ الصِّراطِ المستقيمِ، الذي جاءَتْ بِهِ رُسُلُ اللهِ الكِرامُ صَلواتُ اللهِ وسَلامُهُ عليهم؛ إذْ قال تعالى في بَيانِ هَذهِ الحقيقةِ: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ [يونس: ٧٥]، وقال جَلَّوَعَلَا: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾ [فصلت: ١٥].

٩ اتِّباعُ الشيطانِ

والأدِلَّةُ على ذلكَ مِنَ الكتابِ وصحيحِ السُّنَّةِ كثيرةٌ؛ منها ما يأتي:

أ. قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٣٩].

ب. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

ج. قال تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦-١٧].

د. قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى﴾ [إبراهيم: ٢٢].

هـ. عن عياضِ بنِ حِمارٍ المُجاشِعيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال ذاتَ يَومٍ في خُطْبَتِهِ: «أَلاَ إنَّ رَبِّي أَمَرَني أَنْ أُعَلِّمَكُمْ ما جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَني يَومي هذا، كُلُّ مالٍ نَحَلْتُهُ عبدًا حَلاَلٌ، وإنِّي خَلَقْتُ عِبادِي حُنَفاءَ كُلَّهُمْ، وإنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّياطينُ فاجْتالَتْهُمْ عن دينِهِمْ، وحَرَّمَتْ عليهم ما أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكوا بي ما لم أُنْزِلْ بِهِ سُلْطانًا». تقدّم.

و. عن عبدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خَطَّ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خطًّا بيدِهِ، ثُمَّ قال: «هذا سَبيلُ اللهِ مُسْتَقيمًا»، قال: ثُمَّ خَطَّ عن يَمينِهِ وشِمالِهِ، ثُمَّ قال: «هذه السُّبُلُ وليس منها سَبيلٌ إلَّا عليه شَيطانٌ يَدْعو إلَيهِ»، ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾ أخرجه أحمد، وحسنه الأرناؤوط.

فأَسْبابُ الانحرافِ عَنِ العَقيدةِ الصَّحيحةِ

١ الجهل بالعقيدة الصحيحة

٢ اتباع دعاة السوء

٣ اتباع الهوى

٤ الغلو في الصالحين

٥ التقليد

٦ اتباع سبل الضلال

٧ الغفلة

٨ الكبر

٩ اتباع الشيطان

ثانيًا: وسائلُ الوِقايةِ من الانحراف عن العقيدة الصحيحة:

١ اتِّباعُ الصِّراطِ المستقيمِ القائمِ على منهاجِ النُّبوَّةِ، وهو ما كان عليه النبيُّ ﷺ وأصحابُهُ رضي الله عنهم، والحَذرُ مِمَّا يُضادُّهُ من سُبُلِ البِدعِ و الضَّلالِ، والأَدِلَّةُ على ذلك كثيرةٌ؛ منها:

أ. قولُهُ تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

ب. قوله عزّ وجلّ: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٣].

ج. قوله ﷺ: «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ منكُمْ يَرَ اخْتِلافًا كَثيرًا، وإيَّاكُمْ ومُحْدَثاتِ الأُمورِ؛ فَإِنَّها ضَلالَةٌ؛ فَمَنْ أَدْرَكَ ذلك منكُمْ فَعليه بسُنَّتي وسُنَّةِ الخُلَفاءِ الرَّاشِدينَ المَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عليها بالنَّواجِذِ». تقدم.

٢ الحَذرُ من دُعاةِ السُّوءِ وأَئِمَّةِ الضَّلالِ، والبُعْدُ عنهم، يدل لذلك الآتي:

أ. عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: تَلا رسولُ اللهِ ﷺ هذه الآيَةَ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾.
قالت: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «فَإذا رَأَيتِ الذينَ يَتَّبِعونَ ما تَشابَهَ منهُ فَأولَئِكِ الذينَ سَمَّى اللهُ فاحْذَروهُمْ» متفق عليه.

ب. عن أَبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يكونُ في آخِرِ الزَّمانِ دَجَّالونَ كَذَّابونَ يَأْتونَكُمْ مِنَ الأَحاديثِ بما لم تَسْمَعوا أَنْتُمْ ولاَ آباؤُكُمْ، فَإِيَّاكُمْ وإِيَّاهُمْ لاَ يُضِلُّونَكُمْ ولاَ يَفْتِنونَكُمْ**». أَخْرجَه مسلمٌ.

ج. وفي حديثِ الدَّجالِ، وهو من أَخْطَرِ دُعاةِ السُّوءِ وأَشَدِّ أَئِمَّةِ الضَّلالِ، ما يَدُلُّ على هذا الأَصلِ العَظيمِ؛ أَلا وهو: البعد عن أئمة السوء والضلال، فعن عِمْرانَ بنِ حُصَينٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ سَمِعَ بالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عنهُ، فَوَاللهِ إنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتيهِ وهو يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ، فَيَتَّبِعُهُ مِمَّا يُبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهاتِ أو لِما يُبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهاتِ**» رواه أبو داود، وصححه الألباني.

ومعنى: (فَلْيَنْأَ عنهُ)، أي: فَلْيَبْتَعِدْ عنه، ولا يَقْتَرِبْ منه.

٣ طَلَبُ العِلْمِ والتَّفَقُّهُ في الدِّينِ على يَدِ الثِّقاتِ الرَّاسخينَ من أَهْلِ العِلْمِ؛ المُتَّبِعينَ لِمنهاجِ النُّبوَّةِ؛ لما يأتي:

أ. قولُهُ تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩].

ب. قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ﴾ [النحل: ٤٣-٤٤]. **(بالبيِّناتِ والزُّبُرِ)** أي: بالدَّلائلِ والحُججِ.

ج. قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما رَواهُ عنه مُعاويةُ بنُ أبي سفيانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**مَنْ يُرِدْ اللهُ بِهِ خَيرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ**». متفق عليه.

٤ الامتناعُ عَنِ الغُلوِّ في الدِّينِ والحَذرُ منهُ؛ يدل لذلك ما يأتي:

أ. قولُهُ تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١].

ب. قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ﴾ [المائدة: ٧٧].

ج. قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يا أَيُّها النَّاسُ إِيَّاكُمْ والغُلوَّ في الدِّينِ؛ فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كان قَبْلَكُمْ الغُلوُّ في الدِّينِ» تقدم.

٥ الاستجابةُ لأَمْرِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ باتِّخاذِ الشَّيطانِ عَدوًّا؛ وذلك بجهادِهِ بتحقيقِ العُبوديَّةِ لله جَلَّ وَعَلَا، مِنَ الاستعاذةِ بِهِ والتَّوكُّلِ عليه، وإخلاصِ الدِّينِ لَهُ بفعلِ أَوامرِهِ واجتنابِ نواهيهِ؛ وَالنصوص في هذا المَعْنَى كَثيرةٌ؛ منها:

أ. قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

ب. قولُهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٤٢].

ج. قولُهُ سبحانه في شَأنِ الشَّيطانِ الرَّجيمِ: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٩٩].

د. قولُهُ تعالى حِكايةً عن إبليسَ: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [ص: ٨٢-٨٣].

هـ. قولُهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [فصلت: ٣٦].

و. قولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَأْتي الشَّيطانُ أَحَدَكُمْ فيقولُ مَنْ خَلَقَ كَذا مَنْ خَلَقَ كَذا حَتَّى يَقولَ مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ، فَإذا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ باللهِ ولْيَنْتَهِ». متفق عليه.

٦ عدمُ اتِّباعِ الهَوى والظَّنِّ والتَّقليدِ الأَعْمَى للآباءِ والعُلماءِ والسَّادةِ والكُبراءِ، والحَذَرُ من ذلك غايةَ الحَذَرِ؛ والاعتمادُ عَلى الدَّليلِ والحُجةِ والبَيِّنةِ والبرهانِ؛ ويدل لذلك:

أ. قولُهُ تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الجاثية: ١٨].

ب. قولُهُ تعالى: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾ [ص: ٢٦].

ج. قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ [يونس: ٣٦].

د. قوله سبحانه: ﴿ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾ [النجم: ٢٨].

هـ. قولُهُ سبحانه: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم ﴾ [محمد: ١٤].

و. قوله ﷺ: «إِيَّاكُمْ والظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحديثِ». متفق عليه.

نشاط

١ بشكل مجمل بيّن الآتي:

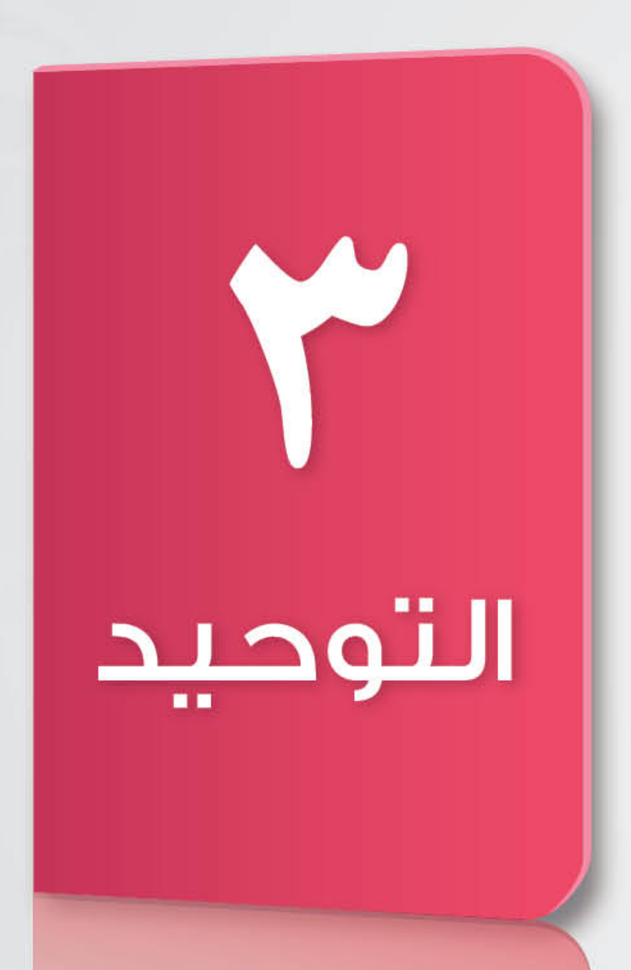
أ. أَسْبابَ الانْحرافِ عَنِ العَقيدةِ الصَّحيحةِ.

ب. مَصادِرَ العَقيدةِ الصَّحيحةِ.

جـ. وسائلَ الوِقايةِ من الانْحرافِ عَنِ العَقيدةِ الصَّحيحةِ.

٢ من واقع قراءات خارجية، اكتب كلمة موجزة عما يأتي:

- الغلو في الدين.
- البدعة وخطرها على الدين، وعلى الفرد والمجتمع.
- التقليد الأعمى.


٣
التوحيد


سندرس في هذه الوحدة
تعريفُ التوحيدِ، ومنزلتُهُ
١
أثرُ التوحيدِ على الفردِ
٢
٣
بيان أن التوحيد هو الإسلام، وأنه دينُ الرسلِ جميعًا

تَعْريفُ التَّوحيدِ، ومَنْزِلَتُه

تَعْريفُ التَّوحيدِ

التوحيد لغةً:
مصدر وحّد يوحِّد توحيدًا، أي: جَعَلَ الشيءَ واحدًا.

واصطلاحًا:
إفرادُ اللهِ سبحانه بما يختصُّ به من الألوهيةِ والربوبيةِ والأسماءِ والصفاتِ.

فالتوحيد في أصل اللغة والشريعة بمعنى الإفراد، أي: إفراده سبحانه بهذه الخصائص التي تفرَّد بها، فلا يشاركه فيها أحد، مهما عَلَتْ منزلته، سواء كان مَلَكا مُقَرَّبا، أو نبيا مرسلا أو رجلًا صالحًا.

وليعلم أن التوحيد لا يقوم حتى يجتمع فيه أمور ثلاثة: الإقرار به في القلب، النطق به باللسان، العمل به بالجوارح.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتابه كشف الشبهات: «**لا خلاف أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل، فإن اختلَّ شيءٌ من هذا لم يكن الرجل مسلمًا**».

وجود كلمة التوحيد في نصوص الكتاب والسنة:

يزعم أهل البدع أن كلمة التوحيد ليس لها أصل في كتاب الله، ولا سنة رسول الله، وهذا باطل من القول، بل إن نصوص الكتاب والسنة مليئة بها:

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٦].

وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ﴾ [غافر: ١٢].

وقال تعالى: ﴿ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة: ٤].

وقال تعالى: ﴿ وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وغير ذلك كثير.

ومن السنة:

- أخرج مسلم في حجة الوداع من حديث جابر رضي الله عنه، وفيه: «حتى إذا كان بالبيداء أهلَّ بالتوحيدِ».
- وفي الصحيحين قال صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضي الله عنه لما أرسله إلى اليمن: «فليكنْ أوَّلَ ما تدعوهم إلى أن يوحِّدوا الله تعالى» وهذا لفظ البخاري.
- وقال صلى الله عليه وسلم: «من وحَّد اللهَ وكفر بما يُعبد من دونِهِ، حَرُم مالُهُ ودمُهُ، وحسابُهُ على اللهِ» رواه مسلم.
- وقال صلى الله عليه وسلم: «بُنِيَ الإسلامُ على خمسةٍ: على أن يوحَّد الله وإقامةِ الصلاةِ... » الحديث رواه الشيخان، واللفظ لمسلم.

منزلةُ التوحيدِ وأثرُه على الفردِ

قال ابنُ أَبي العِزِّ الحَنَفيُّ رَحِمَهُ اللهُ تعالى: «اعلمْ أنَّ التَّوحيدَ أَوَّلُ دَعْوَةِ الرُّسُلِ، وأَوَّلُ مَنازِلِ الطَّريقِ، وأَوَّلُ مَقامٍ يَقومُ فيه السَّالِكُ إلى اللهِ عَزَّوَجَلَّ، قال تعالى: ﴿وَلَقد بَعَثْنا في كُلِّ أُمَّةٍ رسولًا أَنِ اعْبُدوا اللهَ واجْتَنِبوا الطَّاغوتَ﴾ [النّحل: ٣٦]. ولِهذا كان أَوَّلَ واجِبٍ يَجِبُ على المُكَلَّفِ شَهادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهُ.. فالتَّوحيدُ أَوَّلُ ما يَدْخُلُ بهِ في الإسْلاَمِ، وآخِرُ ما يَخْرُجُ بهِ مِنَ الدُّنْيا، كما قال النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كان آخِرُ كَلاَمِهِ لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهُ دَخَلَ الجَنَّةَ».أ.هـ.

وتَظْهَرُ مَنْزِلَةُ التَّوحيدِ الكُبْرى من خِلالِ الآتي:

١ أَنَّهُ الغايةُ مِنَ الخلْقِ؛ كَما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذّاريات: ٥٦] أي: ليوَحِّدون.

٢ أَنَّهُ دعوةُ الرُّسلِ جَميعًا عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وأولها؛ كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

٣ أن الأعمال لا تقبل إلا به، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٥، ٦٦].

٤

أَنَّهُ أَوَّلُ واجِبٍ عَلى المُكَلَّفِ يَنْبَغي أَنْ يَتعَلَّمَهُ؛ كما قال تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩].

وَهي آخِرُ كَلمةٍ يَنْبَغي أَنْ يَقولَها قَبْلَ أَنْ يُفارِقَ الحَياةَ؛ فعن مُعاذِ بنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كان آخِرُ كَلامِهِ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الجَنَّةَ» أَخْرَجَهُ أبو داود، وصححه الألباني.

٥

أَنَّهُ حَقُّ اللهِ على العباد؛ عن معاذ بن جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بَينا أَنا رَديفُ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليس بَيني وبَينَهُ إِلَّا آخِرَةُ الرَّحْلِ، فقال: «يا مُعاذُ بنَ جَبَلٍ» قُلْتُ: لَبَّيكَ رسولَ اللهِ وسَعْدَيكَ، ثُمَّ سارَ ساعَةً ثُمَّ قال: «يا مُعاذُ» قُلْتُ: لَبَّيكَ رسولَ اللهِ وسَعْدَيكَ، ثُمَّ سارَ ساعَةً ثُمَّ قال: «يا مُعاذُ» قُلْتُ: لَبَّيكَ رسولَ اللهِ وسَعْدَيكَ، قال: «هَلْ تَدْري ما حَقُّ اللهِ على عِبادِهِ؟» قُلْتُ: اللهُ ورسولُهُ أَعْلَمُ، قال: «حَقُّ اللهِ على عِبادِهِ أَنْ يَعْبُدوهُ، ولا يُشْرِكوا بِهِ شَيئًا» الحديث؛ متفق عليه.

٦

أنه سبب التمكين والاستخلاف والأمان في الأرض، قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥].

٧ أنه سبب الأمن في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

٨ أنه سببُ مغفرةِ الذنوبِ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ١١٦]، فالشرك بالله مانعٌ من مغفرة الذنوب.

فائدة إثرائية

حديث البطاقة:

روى الترمذي وحسَّنه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا من أُمَّتي على رُءوسِ الخَلائِقِ يَومَ القيامَةِ فَيَنْشُرُ عليه تِسْعَةً وتِسْعينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقولُ: أَتُنْكِرُ من هذا شَيئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحافِظونَ؟ فيقولُ: لا يا رَبِّ، فيقولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فيقولُ: لا يا رَبِّ، فيقولُ: بَلَى إنَّ لَكَ عِنْدَنا حَسَنَةً، فإنَّهُ لا ظُلْمَ عَلَيكَ اليَومَ، فَتَخْرُجُ بطاقَةٌ فيها: أَشْهَدُ أَنْ لا إلَهَ إلَّا اللهُ وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عبدُهُ ورسولُهُ، فيقولُ: احْضُرْ وزْنَكَ، فيقولُ: يا رَبِّ ما هذه البِطاقَةُ مَعَ هذه السِّجِلَّاتِ، فقال: إنَّكَ لا تُظْلَمُ، قال: «فَتوضَعُ السِّجِلَّاتُ في كَفَّةٍ والبِطاقَةُ في كَفَّةٍ، فَطاشَتِ السِّجِلَّاتُ وثَقُلَتِ البِطاقَةُ، فَلا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيءٌ».

قال شيخ الإسلام على حديث البطاقة: «فهذا لِما اقترن بهذه الكلمةِ من الصدقِ والإخلاصِ والصفاءِ وحسنِ النيةِ؛ إذ الكلماتُ والعباداتُ -وإن اشتركت في الصورة الظاهرة- فإنها تتفاوت بحسب أحوالِ القلوبِ تفاوتًا عظيمًا» اهـ.

٩

أَنَّهُ مِلَّةُ أَبينا إبراهيمَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ، التي أَمَرَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا نَبيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باتِّباعِها؛ كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل: ١٢٣].

كما أَنَّهُ دَعْوَتُهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ؛ حيثُ قال تعالى حِكايةً عنهُ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

١٠

أَنَّهُ أَشْرَفُ الأَعْمالِ مُطْلَقًا؛ فعن أَبي هُريرةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سُئِلَ النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَيُّ الأَعْمالِ أَفْضَلُ؟ قال: «إيمانٌ باللهِ ورسولِهِ» أخرجه البخاري ومسلم.

١١

أَنَّهُ شَرْطٌ لِدُخولِ الجَنَّةِ؛ كما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [غافر: ٤٠].

وَأَنَّ مَنْ جاءَ بما يُناقِضُهُ؛ كالشِّركِ باللهِ أو غيرِهِ؛ كانتِ الجنَّةُ عليه حَرامًا، ومأواه النارُ؛ كما قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة: ٧٢].

أثرُ التوحيدِ على الفردِ

١

السعادةُ وطيبُ الحياة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧].

قال ابن القيم: «والإخلاص والتوحيد شجرة في القلب، فروعُها الأعمالُ وثمرُها طيبُ الحياة في الدنيا والنعيمُ المقيمُ في الآخرة،.. والشركُ والكذبُ والرياءُ شجرة في القلب، ثمرُها في الدنيا الخوف والهمُّ والغمُّ وضيقُ الصدر وظلمةُ القلب، وثمرُها في الآخرة الزقوم والعذاب المقيم» اهـ.

٢

تفريج الكروب في الدنيا والآخرة.

قال ابن القيم: «التوحيد مفزع أعدائه وأوليائه - أي: الله -، فأما أعداؤه فينجيهم من كُرَب الدنيا وشدائدها ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، وأما أولياؤه فينجيهم به من كربات الدنيا والآخرة وشدائدها.. فما دفعت شدائد الدنيا بمثل التوحيد؛ ولذلك كان دعاء الكرب بالتوحيد ودعوة ذي النون التي ما دعا بها مكروب إلا فرج الله كربه بالتوحيد، فلا يلقي في الكُرَب العظام إلا الشركُ، ولا ينجي منها إلا التوحيدُ، فهو مفزع الخليقة وملجؤها وحصنها وغياثها» اهـ.

٣

الثبات في القبر، كما قال تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧] وعن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «المسلمُ إذا سُئل في القبرِ يَشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وأنَّ محمدًا رسولُ الله، فذلك قوله: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾». أخرجه البخاري ومسلم.

٤ النجاة من الخلود في النار، فقد تواترت الأحاديث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الموحِّدين يخرجون من النار. قال شيخ الإسلام: «**وأيضًا فقد تواترت الأحاديث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أنه يخرج أقوام من النار بعد ما دخلوها، وأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشفع في أقوام دخلوا النار**» اهـ.

٥ السلامة من الخوف والرعب في الدنيا والآخرة، وهو ما يصيب الكافر بسبب شِركه، قال تعالى: ﴿**سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا**﴾ [آل عمران: ١٥١].

وكذلك في الآخرة حيث أخبر ربنا أن الموحدين يحصل لهم الأمن التام يوم القيامة بسبب توحيدهم، قال ربنا: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (١٠١) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ (١٠٢) لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ**﴾ [الأنبياء: ١٠١، ١٠٢، ١٠٣].

نعمة التوحيد:

طالب مسلم يدرس في إحدى جامعات الهند عند بروفيسور من كبار الأساتذة، وبعد الانتهاء من المحاضرة اقترب الطالب من المدرس ليلقي عليه بعض الإشكالات التي واجهته، فتفاجأ برائحة كريهة تصدر من الأستاذ!! فقال له الطالب: ما هذا يا أستاذ ؟! فقال له: هذه رائحة بول الإله. أي: البقرة !!





بيان أن التوحيد هو الإسلام، وأنه دين الرسل جميعًا

الدِّينُ الذي بَعَثَ اللهُ بِهِ رُسُلَهُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وأَنـزَلَ بِهِ كُتُبَهُ هو **(الإسلامُ)**.

وهو يَعْني: تَوحيدَ اللهِ تعالى في عِبادَتِه، والاستسلامَ التامَّ له.

وهو: دينُ اللهِ جَلَّ وَعَلَا في السَّماءِ والأَرْضِ؛ كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩]؛ وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وَقال تعالى -حِكايةً- عن نوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ في خِطابِهِ لِقومِهِ: ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٧٢].

وكذلكَ أَخْبرَ عن وصيةِ إبراهيمَ ويعقوبَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أَنَّ الدِّينَ هو الإسلامُ؛ كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٠-١٣٢].

وَقال تعالى -في شَأْنِ خَليلهِ إبراهيمَ- عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران: ٦٧].

وقال نبي الله يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [يوسف: ١٠١].

وقال نبي الله سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾ [النمل: ٣٨].

وقالت بلقيس ملكة سبأ: ﴿ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [النمل: ٤٤].

وها هو نبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يخاطب قومه بكل وضوح كما حكاه الله عنه: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ﴾ [يونس: ٨٤].

كما قال سحرة فرعون: ﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٦].

وها هي مقالة أكفر الكافرين، عدو الله فرعون: ﴿ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ [يونس: ٩٠].

وحكى الله في كتابه العزيز عن أتباع عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٥٢].

وَقال فيمَنْ تَقدَّمَ من الأَنْبياءِ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ ﴾ [المائدة: ٤٤].

وَقال تعالى -في سياقَ تَقْريرِهِ للإسلامِ، وخِطابِهِ لأَهْلِ الكِتابِ، وبَيانِ أَنَّ الإسلامَ هو دينُ الرُّسلِ جَميعًا عليهمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ-: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٦].

هذا هو الإسلامُ بمَعْناهُ العامِّ.

فَدينُ الأَنبياءِ واحِدٌ، وكُلُّهُمْ جاءوا بالتَّوحيدِ.

وَأَمَّا الشَّرائِعُ فَإِنَّها تَخْتَلِفُ، حيثُ إنَّ كُلَّ شَريعةٍ تَخْتَلفُ عَنِ الأُخْرى في الحَلالِ والحَرامِ؛ قال تعالى: ﴿ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗا ﴾ [المائدة: ٤٨]، وقال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بيانِ هذه الحقيقةِ: «الأَنْبياءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهاتُهُمْ شَتَّى ودينُهُمْ واحِدٌ». متفق عليه.

والعَلَّاتُ: الضَّرائِرُ.

والمعنى: أَنَّ أَصْلَ دينِهِمْ واحِدٌ وهو التَّوحيدُ، وإنِ اخْتَلَفَتْ فُروعُ الشَّرائِعِ.

فلا علاقة بين كون الشرائع قابلة للتغيير والنسخ، وبين أصل الدين الداعي للتوحيد والاستسلام والخضوع لرب العالمين، وهو دين الإسلام الخالص، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢].



الأَدْيانُ السماويةُ الثلاثةُ

عبارة الأديان السماوية الثلاثة:

هذه من العبارات الخطأ، التي يستعملها كثيرٌ من عوام المسلمين، وهي تشعر بأن هناك دياناتٍ أخرى غير الإسلام، ويقصدون بها اليهودية والنصرانية، وليس هناك ديانة غير الإسلام، نعم يوجد شرائع، لكن الدين واحد.



ولم يسمِّهم اللهُ بذلك، بل هم سمَّوا أنفسَهم به، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُواْ﴾ [البقرة: ١٣٥، ١٣٦].

وقال تعالى حاكيًا مقالتهم على أنفسهم: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَـٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَهُمْ﴾ [المائدة: ١٤].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَـٰرَىٰ﴾ [المائدة: ٨٢].

نشاط

١ ما معنى التوحيد لغة واصطلاحًا؟ وبم تجيب على من يقول لفظ (التوحيد) لفظ بدعي؟ استدل لما تقول.

....

....

٢ بيِّن إجمالًا منزلة التوحيد، ولِمَ كان أول دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؟

....

....

٣ ما الآثار الإيجابية للتوحيد على الفرد والمجتمع؟ استعن بمصادر خارجية.

....

....

٤ ناقش هذه العبارة بموضوعية، مستصحبًا النصوص في ذلك: (الأديان السماوية الثلاثة).

....

....

٤

أركان التوحيد


سندرس في هذه الوحدة
١
أركان التوحيد
٢
أقسام التوحيد
٣
إقرار الكفار والمشركين بتوحيد الربوبية
٥
الآثار الإيمانية لتوحيد الربوبية
٦
أدلة وجود الله تعالى من غير الشرع

أركان التوحيد



للتوحيد ركنان لا يقوم إلا بهما:

الأول: النفي. **الثاني: الإثبات.**

وعليهما تدور نصوص الكتاب والسنة في التوحيد.

قال الشنقيطي: «تحقيق معنى: (لا إله إلا الله)، وهي متركّبة من نفي وإثبات.

فمعنى النفي منها: خلع جميع أنواع المعبودات -غير الله- كائنةً ما كانت، في جميع أنواع العبادات كائنةً ما كانت.

ومعنى الإثبات منها: إفراد الله جَلَّوَعَلَا وحده بجميع أنواع العبادات بإخلاص، على الوجه الذي شرعه على ألسنة رسله عليهم الصلاة والسلام» اهـ.

وعليه: فمن اكتفى بإثبات استحقاق الله للعبادة، دون أن يعتقد اعتقادًا جازمًا ببطلان تأليه ما سواه من المعبودات واعتبارها باطلة، فهو لم يُحقّق بعدُ كلمة التوحيد التي تحصل بها النجاة يوم القيامة.

وكذلك كل من نفى الألوهية مطلقا، فهذا تعطيل محض، فهو لم يحقق التوحيد، بل لابد من نفي وإثبات.

وكلّ من يعرف اللغة العربيّة يعرف أن الأسلوب الموجود في كلمة التوحيد: **(لا إله إلا الله)** هو الذي يحقق النفي والإثبات، ويتطلّبهما جميعًا.

كما أن هناك نصوصًا شرعيّة أفادت نفس المعنى، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦].

فالإثبات في قوله تعالى: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾

والنفي في قوله تعالى: ﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾

وهو كذلك في قوله تعالى: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ [النساء: ٣٦]، فهو أمر بعبادة الله، ونهي عن صرف العبادة لغيره، فجمع بين النفي والإثبات.

وقوله تعالى: ﴿ أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ﴾ [هود: ٢٦]، ففيه النهي عن عبادة غير الله، والأمر بعبادته وحده، لا شريك له.

وفي قول إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧].

نفي وإثبات: فقوله: ﴿ بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ نفي العبادة مطلقا، وفي قوله: ﴿ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ إثباتها لله تعالى.

فلابد لمن أراد أن يحقق التوحيد من الجمع بين ركنيه، وهما: النفي والإثبات.

النفي للمعبودات الباطلة، وإثبات العبوديّة لمستحقِّها، وهو الله سبحانه دون غيره.

ثم اعلم أن معنى النفي: الكفر بالطاغوت، ومعنى الإثبات: الإيمان بالله.

قال تعالى: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

والعروة الوثقى هي كلمة التوحيد: لا إله إلا الله.

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]

فالإيمان بالله وحده متوقفٌ على الكفر بالطاغوت.

فائدة إثرائية حريةُ الاعتقادِ

الحرية الدينية أو حرية المعتقد هو مبدأ يدعم حرية الفرد عمومًا أو حرية جماعةٍ من الناس في إظهار دينهم أو مُعتقداتهم أو شعائرهم الدينية، سواء بالتعليم أو الممارسة أو الاحتفال، ويشمل المصطلح كذلك حرية تغيير الدين أو عدم اتِّباع أي دين.

وبما تقرر في ركني التوحيد يتضح بجلاء خطورة دعوى: (حرية الاعتقاد)!.

لأن قانون (حرية الاعتقاد) لا يعرف الكفر بالطاغوت، بل يقرُّ كلَّ معبود دون الله!

فهي حرية تعطي الحق لمن شاء أن يعبد ما شاء، في الوقت الذي تمنع الآخرين من الاعتراض عليه أو رد باطله.

ولا شك أن هذا مصادم لعقيدة التوحيد، والتي آكد أركانها عبادة الله وحده لا شريك له، والكفر بكل ما يعبد من دون الله، وهو الكفر بالطاغوت، الذي يوجب على الموحد إعلان البراءة من الكفر وأهله، وهذا هو الحق المبين.

نشاط

١ (ركنا التوحيد هما النفي والإثبات)، اشرح هذه العبارة باستيعاب، مع الرجوع لكتب العقيدة.

٢ ما المراد بالكفر بالطاغوت؟ تكلم على ذلك في ضوء فكرة (حرية العقيدة) مبينًا مدى اتفاقهما وافتراقهما.

أقسام التوحيد

قَسَّمَ أَهْلُ العِلمِ التَّوحيدَ إلى ثلاثةِ أَقْسامٍ:

أَحَدِها: تَوحيدُ الرُّبوبيَّةِ.

الثَّاني: توحيدُ الأُلوهيَّةِ.

الثَّالِثِ: تَوحيدُ الأَسْماءِ والصِّفاتِ.

وإليك تفصيل هذه الأقسام الثلاثة:

الربوبية

الألوهية

الأسماء والصفات

١ أوَّلًا: تَوحيدُ الرُّبوبيَّةِ:

الربوبية لغة: مصدر رَبَبَ، ومنه الربُّ، والربُّ مطلقًا هو الله عَزَّوَجَلَّ، فهو ربُّ كل شيء، وله الربوبية على جميع الخلق لا شريك له.

ولا يقال الربُّ في غير الله إلا بالإضافة، فيقال: فلانٌ ربُّ هذا الشيء، أي: مالكه، وهو رب الدابة، ورب الدار، وفلان رب البيت، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف: ٤٢].

والربوبية في الاصطلاح الشرعي: هو إفْرادُ اللهِ جَلَّوَعَلَا بأَفعالهِ التي يَخْتصُّ بها، والصادرة إلى العِباد، وهي: الخَلْقُ والمُلكُ والتَّدبيرُ.

ثم يتبع ذلك معانٍ كثيرة: مثل الرزق والقبض والبسط، والإحياء والإماتة، والبعث والنشور، والنفع وكشف الضر وغيره من معاني الربوبية.

فالمراد بالربوبية قيام الله تعالى على العبد بتربيته، وإصلاح شأنه، وتدبير أمره، قال شيخ الإسلام: «**والرَّبُّ: هو الذي يُرَبِّي عبدَهُ فيُدَبِّرُهُ**».

والربوبية تقوم على أمور ثلاثة ثابتة لله تعالى:

أولا: الخَلْق:

أي: إفراد الله تعالى بكونه الخالق، فلا يقدر على الخلق إلا الله، وأدلة ذلك كثيرة، منها:

- قوله تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤].
- قوله تعالى: ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ﴾ [الحشر: ٢٤].
- قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ [النحل: ٢٠].
- قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ﴾ [الحج: ٧٣].
- قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ [يونس: ٣٤].

والآيات في ذلك كثيرة.

والمراد بالخلق هنا إيجاد الشيء من العدم، وهذا لا يقدر عليه إلا الله تعالى.



ادَّعى بعض المبتدعة من الفلاسفة وغيرهم أن هناك من يخلق مع الله، واستدلوا لذلك بقوله تعالى: ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٤]، فأثبت الله خالقًا غيره.

والجواب: أن الخلق الذي ينسب إلى المخلوق هو ما كان من باب تحويل الشيء من صورة إلى أخرى.

كتحويل الطين إلى إبريق، والخشب إلى دولاب، ونحو ذلك، وهو مقيد كذلك بوجود الأسباب التي هيَّأها الله.

أما الله سبحانه فهو يقدر على ذلك بقوله: كن فيكون.

ثانيا: المُلك:

أي: إنَّ الله تعالى متفرد بالمُلك، وأدلة ذلك كثيرة، منها:

- قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ ﴾ [آل عمران: ٢٦].
- قوله تعالى: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الملك: ١].
- قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ ﴾ [الإسراء: ١١١].
- قوله تعالى: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [يس: ٨٣]، والآيات في ذلك كثيرة.

ثالثا: التدبير:

أي: إنَّ الله تعالى متفرد بتدبير الأمور، وتصريف هذا الكون، وأدلة ذلك كثيرة، منها:

- قال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ [الرعد: ٢].
- وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ﴾ [يونس: ٣].
- وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٣١].
- وقال تعالى: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ [السجدة: ٥].

والآيات في ذلك كثيرة.

ويتبع ذلك معانٍ أخرى للربوبية، كالإحياء والإماتة والرزق والبعث والنشور والضر والنفع.. إلخ.

فالربُّ هو المبدئ والمعيد، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾ [الروم: ٢٧].

والرب هو المحيي والمميت، كما قال تعالى: ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الدخان: ٨].

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك: ٢].

والضر والنفع بيد الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ﴾ [يونس: ٢١].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ﴾ [الفتح: ١١].

والرزق بيده سبحانه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٧].

وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ﴾ [الرعد: ٢٦].

وهو سبحانه المعطي المانع، قال تعالى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ [فاطر: ٢].

وقال الرسول ﷺ: «اللهمَّ لا مانعَ لما أعطيتَ، ولا مُعْطيَ لما مَنَعتَ» رواه البخاري ومسلم.

ومن ذلك النصر، وهداية القلوب: قال تعالى: ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [آل عمران: ١٢٦]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة: ١٠٧].

وقال تعالى في الهداية: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص: ٥٦]، وقال سبحانه: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ﴾ [الأعراف: ١٧٨].

فكلُّ هذه المعاني، من معاني ربوبيته سبحانه وتعالى، وهي مقدمات بين يدي عبوديته واستحقاقه لها.



فتوحيدُ الربوبيةِ يستلزم توحيدَ الألوهيةِ:

لذلك تجد الله تعالى جعل إفراده بالرُّبوبية علةً وسَبَبًا لاستحقاقه العبودية، قال تعالى: ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٦٥]، أي: فقد استحق العبادة؛ لأنه خالق السماوات والأرض وما بينهما.

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ٢١]، أي: فاعبدوه وحده؛ لأنه هو الخالق.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٧]، فجعل الله سبحانه امتلاكه الرزق سببًا في استحقاقه العبودية.



إقْرارُ الكُفّارِ والمشركينَ بتَوحيدِ الرُّبوبيّةِ

وهل الكفارُ يقِرُّون بتوحيد الربوبية؟

الجواب: الخَلْقُ كُلُّهُمْ مُقِرُّونَ بتوحيدِ الرُّبوبيَّةِ؛ حَتَّى الكُفَّارُ والمُشْرِكونَ يُقِرُّونَ لله بذلك؛ والأَدِلَّةُ على ذلك كثيرةٌ، منها:

١. قولُهُ تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [لقمان: ٢٥].

٢. قولُهُ تعالى: ﴿ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ [المؤمنون: ٨٨ - ٨٩].

٣. قوله تعالى حِكايةً عن إبليسَ في إقْرارِهِ برُبوبيةِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى ﴾ [الحجر: ٣٩].

٤ قوله سُبْحانَهُ في إقْرارِ سائرِ الكُفَّارِ والمشركينَ بتوحيدِ الرُّبوبيةِ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[العنكبوت: ٦١].

٥ قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ﴾ [يونس: ٣١].

فهذه النصوص كما ترى صريحة في أن الكفار يقِرُّون بكون الله هو الخالق الرازق، بيده ملكوت كل شيء، وهو الذي يجير، ولا يجار عليه، وهو من يدبر الأمر، ويخرج الحي من الميت، والميت من الحي، وهذا كله من مقتضيات الربوبية، كما تقدم.

فائدة إثرائية

وَهذا التَّوحيدُ -أي: توحيد الربوبية- لا يَكْفي وحْدَهُ في دُخولِ العبدِ في دينِ الإسلامِ؛ وبالتَّالي لا تكونُ بهِ النَّجاةُ في الآخرةِ ودخول الجنة؛ فَإنَّ الكُفَّارَ والمشركينَ كانوا مُقرِّينَ بهِ؛ ومَعْ ذلكَ حَكَمَ اللهُ جَلَّوَعَلَا عليهِم بدُخولِ النَّارِ والخُلودِ فيها، قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾ [البينة: ٦].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ليس التوحيدُ مجردَ إقرارِ العبدِ بأنه: لا خالقَ إلا اللهُ، وأن اللهَ ربُّ كلِّ شيء ومليكه، كما كان عباد الأصنام مُقِرِّين بذلك وهم مشركون، بل التوحيد يتضمن من محبة الله، والخضوع له، والذل له، وكمال الانقياد لطاعته، وإخلاص العبادة له، وإرادة وجهه الأعلى بجميع الأقوال والأعمال» اهـ بتصرف.

الآثارُ الإيمانيةُ لِتوحيدِ الرُّبوبيَّةِ

إنَّ لِتَوحيدِ الرُّبوبيَّةِ آثارًا إيمانيَّةً عَظيمةً؛ لَعلَّ أَهَمَّها ما يـأتي:

1. حُبُّ اللهِ جَلَّوَعَلَا؛ كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥]؛ فَهو سُبْحانهُ الرَّبُّ الذي يُرَبِّي عِبادَهُ بالنِّعمِ؛ كما قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ [يونس: ٣١].

2. تَعْظيمُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ؛ كما قال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴾ [الإسراء: ١١١]، وكَبِّرْهُ تَكْبيرًا؛ يَعْني: عَظِّمْهُ تَعْظيمًا.

3. التوكل على الله تعالى، وتَفْويضُ الأَمْرِ إليهِ؛ كما قال تعالى: ﴿ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [هود: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢].

4. الفَزَعُ إلى الله تعالى، والاستغاثةُ بِهِ في الشَّدائدِ والكُرُباتِ؛ قال تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ [الأنفال: ٩].

5. الإنابةُ إلى اللهِ والانكسارُ بَينَ يَديهِ؛ كما قال تعالى: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٣].

٦

الاستسلامُ لله والانقيادُ لَهُ سبحانه؛ كما في قولِهِ تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١].

٧

الخَوفُ مِنَ اللهِ رَبِّ العالمينِ؛ كما قال تعالى عن ابن آدم: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٨].

٨

تَحْريكُ العُقولِ للتَّفَكُّرِ، كما في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

٩

تَحْقيقُ الإِخْلاصِ؛ كما في قولِهِ تعالى: ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٩].

١٠

الرِّضا بقضاءِ اللهِ وقَدَرِهِ جَلَّوَعَلَا؛ فَكُلُّ ما يَجْري في هذه الأرضِ هو من خَلْقِهِ وتَدْبيرِهِ؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٦].

نشاط

١ اشرح معنى لفظ: (الربوبية)، ولم كانت تلك الكلمة تحمل المعاني المذكورة، من الخلق والملك والتدبير؟

....

....

....

٢ هناك من يقول: يمكن لغير الله أن يكون خالقًا، ويستدل لذلك بالقرآن، ما دليله؟ وما الجواب عليه؟

....

....

....

٣ بيِّن التلازم بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، مستدلًا لذلك بنصوص القرآن؟

....

....

....

٤ ما موقف الكفار من توحيد الربوبية، وهل ينفعهم ؟ استدل لما تقول.

....

....

....

أدلةُ وجودِ اللهِ تعالى من غيرِ الشَّرعِ

في معرض الحديث مع غير المؤمنين، من ملحدين وغيرهم، لا يتأتَّى أن تخاطبهم بخطاب الشرع؛ فإن ردَّهم سيكون بعدم القبول، وبالتالي فلابد من ذكر أدلة غير أدلة الشرع على وجود الله تعالى، وهي تنحصر في الآتي:

- الفطرةُ
- العقلُ
- الحِسُّ

أدلة الفطرة. أدلة العقل. أدلة الحس.

١ أدلة الفطرة على وجود الله تعالى:

فإن كل مخلوق قد فُطر على الإيمان بالخالق من غير سبق تفكير أو تعلم، ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة إلا من طرأ على قلبه ما يصرفه عنها، قال النبي ﷺ: «**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يُهوِّدانه، أو يُنصِّرانه، أو يُمجِّسانه**». أخرجه البخاري ومسلم.

ولم يقل: أو يُسْلِمانه؛ لأنه مسلم بفطرته، مقرٌّ بالتوحيد بفطرته، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ [الروم: ٣٠].

ومن دلائل الفطرة: أن الإنسان في حال اضطراره يلجأ إلى الله تبارك وتعالى، فإذا وقعت به كربة أو أحاط به خطر دعا الله عَزَّوَجَلَّ واستغاث به، وقد ذكر الله هذا في كتابه العزيز في أكثر من موضع، من ذلك:

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٦٧].

وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

فهذا هو دليل الفطرة، وهو من القوة بحيث لا يستطيع أحد أن يدفعه، فيجد الإنسان من نفسه ضرورة بالتوجه إلى الله تعالى في الشدائد والكروب، فلا أحد يوجِّهه لذلك، لكنها الفطرة التي فطر الله الخلق عليها.

فالنَّاسُ لو خُلُّوا وفطرَهم لم يميلوا لغير ربِّهم، منيبين إليه في جلب المنافع ودفع المضارّ، ومُنيبين إليه في التألُّه والتعبُّد والخضوعِ والانكسارِ.

٢ دليل العقل:

هذا الدليل يقوم على أنه لابد لكل مخلوقٍ من خالقٍ، وهذه حقيقة يسلم بها كل ذي عقل سليم.

فإنه لما سُئل الأعرابي عن وجود الله؟ قال مستدلًا بالعقل والنظر الفطري: البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، فسماءٌ ذاتُ أبراج، وأرضٌ ذات فجاج، وبحارٌ ذات أمواج، ألا تدل على اللطيف الخبير؟!

فللّه، ما أحسنه من استدلالٍ، وما أعجبه من منطقٍ وبيانٍ.

يُروى أن أحد العلماء طلب منه بعضُ الملاحدة أن يناظره في وجود الله سبحانه، وحددوا لذلك موعدًا، فتأخر العالِم عنهم وكان تأخره عن قصد، فلما جاءهم وسألوه عن سبب تأخره؟

قال: لقد حال بيني وبين مجيئي إليكم نهر، ولم أجد ما ينقلني إليكم غير أن الأمر لم يطل حتى أتت سفينةٌ ليس لها قائد يقودها، فركبتها حتى أتيت إليكم! فضجَّ الملاحدة ماذا تقول؟!!

فقال لهم: أنتم أنكرتم أن يكون لهذا الكون خالق، ولم تصدقوا أن تكون سفينة بلا قائد! فاعترفوا وأقروا.

وقد نبَّه القرآن على هذا، قال تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾ [الطور: ٣٥، ٣٦].

فهذان احتمالان لا ثالث لهما:

الأول:

أن يكون هذا الخلق من غير خالق، وهذا مستحيل تنكره العقول؛ إذ لا بد للمخلوق من خالق، وللمصنوع من صانع، فالعدم لا يَخْلُقُ.

الثاني:

أن يكونوا هم الذين خلقوا أنفسهم وخلقوا السماوات والأرض، وهذا مستحيل أيضا؛ إذ لم يدَّعِ أحدٌ أنه خلق نفسه، فضلًا عن السماوات والأرض.

فتعيَّن أن يكون لها موجدٌ وخالقٌ، وهو الله رب العالمين.

وهذا دليل غاية في القوة والبيان؛ لذلك عندما سمعه جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**كاد قلبي أن يطير**». أخرجه البخاري.

وتلك مناظرة جرت بين مؤمن فقيه وبين ملحد حائر:

قال ذلك الملحد للمؤمن: أنت تؤمن بوجود الله؟ قال نعم، ولا شك. قال: هل رأيته؟ قال: لا. قال: هل سمعته؟ قال: لا. قال: هل شممته أو لمسته؟ قال: لا. قال: فكيف تؤمن به؟!

قال المؤمن الفقيه للملحد: أنت عاقل؟ قال: نعم. قال: هل رأيت عقلك؟ قال: لا. قال: هل سمعته؟ قال: لا. قال: هل شممته أو لمسته؟ قال: لا. قال: كيف تزعم أنك عاقل؟!

ومن دليلِ العقلِ: التفكُّرُ والتأملُ:

مَنْ تَأَمَّلَ هذه السَّماواتِ في ارْتِفاعِها واتِّساعِها، وما فيها مِنَ الكَواكِبِ الكِبارِ والصِّغارِ المُنيرَةِ، مِنَ السَّيَّارَةِ ومِنَ الثَّوابِتِ، وشاهَدَها كَيفَ تَدورُ مَعَ الفَلَكِ العَظيمِ في كُلِّ يَومٍ ولَيلَةٍ، ولَها في أَنْفُسِها سَيرٌ يَخُصُّها.

وَنَظَرَ إلى البِحارِ المُلْتَفَّةِ بالأَرْضِ من كُلِّ جانِبٍ، والجِبالِ المَوضوعَةِ في الأَرْضِ لِتَقَرَّ ويَسْكُنَ ساكِنوها، مَعَ اخْتِلافِ أَشْكالِها وأَلْوانِها، كما قال: ﴿ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر: ٢٧، ٢٨].

وكذلكَ هذه الأَنْهارُ السَّارِحَةُ من قُطْرٍ إلى قُطْرٍ لِمَنافِعِ العِبادِ، وما انتشرَ في الأَرْضِ مِنَ الحَيَواناتِ المُتَنَوِّعَةِ والنباتِ المُخْتَلِفِ الطُّعومِ والأَشْكالِ والأَلْوانِ، مَعَ اتِّحادِ طَبيعَةِ التُّرْبَةِ والماءِ عَلِمَ وُجودَ الصَّانِعِ وقُدْرَتَهُ العَظيمَةَ وحِكْمَتَهُ ورَحْمَتَهُ بخَلْقِهِ ولُطْفَهُ بهِمْ وإحْسانَهُ إليهِمْ وبِرَّهُ بِهِمْ لا إلَهَ غَيرُهُ ولا رَبَّ سِواهُ، عليه تَوَكَّلْتُ وإلَيهِ أُنيبُ.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ١٦٤].

وسئل الشافعي عن وُجودِ الصَّانِعِ؟ فقال: «هذا ورَقُ التُّوتِ طَعْمُهُ واحِدٌ، تَأْكُلُهُ الدُّودُ فَيَخْرُجُ منهُ الإبْرَيسِمُ -الحرير-، وتَأْكُلُهُ النَّحْلُ فَيَخْرُجُ منهُ العَسَلُ، وتَأْكُلُهُ الشَّاةُ والبَعيرُ والأَنعامُ فَتُلْقيهِ بَعْرًا ورَوثًا، وتَأْكُلُهُ الظِّباءُ فَيَخْرُجُ منها المِسْكُ، وهو شَيءٌ واحِدٌ».

تأمَّلْ في نباتِ الأرضِ وانظُرْ ... إلى آثارِ ما صنعَ المَليكُ
عيونٌ من لُجَينٍ شاخصاتٌ ... بأحْداقٍ هي الذهَبُ السَّبيكُ
على قُضُبِ الزبَرْجَدِ شاهِداتٌ ... بأنَّ اللهَ ليس لهُ شريكُ

٣ دليلُ الحِسِّ:

وأدلة الحِسِّ على وجود الله تعالى من وجهين:

الأول: إجابة الداعين والمستغيثين والمكروبين:

انظر إلى أحوال المضطرِّين الواقعين في المهالك، والمُشرفين على الأخطار في البرِّ والبحر والجوّ، وإلى البائسين من مشاكلهم وأمراضهم وأوجاعهم، وكيف تضطرهم الضروراتُ وتُلجئهم الحاجاتُ إلى ربِّهم وإلـههم، داعين مفتقرين وسائلين له مُستَعطين؛ فيجيب دعواتِهم ويكشف كرباتِهم ويرفع ضروراتِهم.

لذا فقد جعله الله تعالى دليلًا صريحًا على وجوده، فقال: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل: ٦٢] .

ولا شك أن حصول إجابة دعوات الأنبياء والرسل والصالحين وكشف الكرب عنهم من أعظم الأدلة على وجود الله عَزَّوَجَلَّ.

والواقع مليء من إجابة الداعين، وغوث المكروبين، مما يدل دلالة قاطعة على وجود الله تعالى، قال تعالى: ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ ﴾ [الأنبياء: ٧٦] .

وقال تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾ [الأنفال: ٩] .

وما زالت إجابة الداعين أمرًا مشهودًا إلى يومنا هذا، لمن صدق اللجوء إلى الله تعالى، وأتى بشروطه.

الثاني: معجزات الأنبياء:

إن آيات الأنبياء التي تسمى المعجزات ويشاهدها الناس، أو يسمعون بها، برهان قاطع على وجود مرسلهم وهو الله تعالى؛ لأنها أمور خارجة عن نطاق البشر، يجريها الله تعالى تأييدًا لرسله ونصرًا لهم.

مثال ذلك: آية موسى عليه السلام حين أمره الله تعالى: ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ﴾ فضربه فانفلق اثنى عشر طريقًا يابسًا، والماء بينهما كالجبال، قال الله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣].

ومثال ثانٍ: آية عيسى صلى الله عليه وسلم، حيث كان يحيي الموتى ويخرجهم من قبورهم بإذن الله، قال تعالى عنه: ﴿وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٤٩]. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى﴾ [المائدة: ١١٠].

ومثال ثالث: لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، حين طلبت منه قريش آيةً ومعجزةً، فأشار إلى القمر فانفلق فرقتين فرآه الناس، وفي ذلك قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ١ - ٢].

ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿وَلَقد نادانا نوحٌ فَلَنِعْمَ المُجيبونَ﴾ [الصافات: ٧٥].

وقال تعالى عن نوح أيضًا: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾ [القمر: ١٠، ١١].

وقال تعالى عن يونس: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧، ٨٨].

فهذه الآيات المحسوسة التي يجريها الله تعالى تأييدًا لرسله، ونصرًا لهم، تدل دلالة قطعية على وجوده سبحانه وتعالى.



١ لماذا عُقد في المنهج باب في أدلة وجود الله من غير الشرع، ولمن يوجه أصلا؟

....

....

....

٢ من أعظم الأدلة على وجود الله تعالى الحس، تكلم عن ذلك.

....

....

....

٣ أعدَّ بحثًا تذكر فيه شُبَه الملحدين، مع الجواب عليها.

....

....

....

٤ لم كانت معجزات الأنبياء دليلًا دامغًا على وجود الله تعالى؟

....

....

....

والله وليُّ التوفيق

المصادر

- الإبانة الكبرى لابن بطة العُكْبَري .
- مجموع الفتاوى، تقي الدين ابن تيمية.
- شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، تحقيق الشيخ عبد الله التركي، دار الرسالة.
- شرح ثلاثة الأصول، الشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار الثريا للنشر.
- شرح العقيدة التدمرية، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك، دار التدمرية، الرياض، ط١، ١٤٣٢هـ.
- شرح العقيدة الطحاوية، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك، دار التدمرية، الرياض، ط١، ١٤٢٩هـ.
- شرح العقيدة الواسطية، الشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، الدمام، ط٦، ١٤٢١هـ.
- شرح كتاب التوحيد، الشيخ محمد بن صالح العثيمين.
- المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية على مذهب أهل السنة والجماعة، د. إبراهيم البريكان، دار ابن القيم، الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ.
- أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، نخبة من العلماء، وزارة الشؤون الإسلامية بالمملكة.
- الإيمان: حقيقته وزيادته وثمرته، الشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان، دار التدمرية، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ.
- الإيمان: أركانه - حقيقته - نواقضه، د. محمد نعيم ياسين، دار عمر بن الخطاب، الإسكندرية.
- بدعة إعادة فهم النص، الشيخ محمد صالح المنجد، تقديم الشيخ صالح بن فوزان الفوزان، مجموعة زاد.
- شرح كتاب التوحيد، للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، دار التوحيد، ط١.
- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي.
- شرح العقيدة الواسطية، الشيخ صالح بن فوزان الفوزان.



فهرس المحاضرات

فهرس المحاضرات



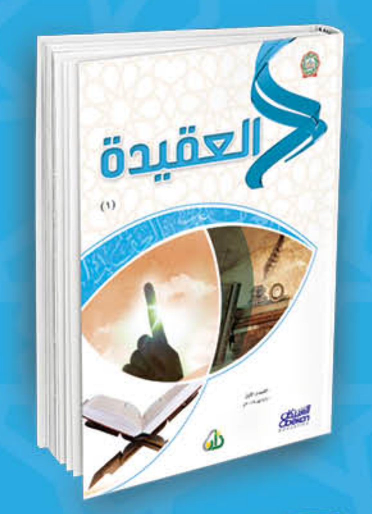


المحتويات



سلسلة زاد العلمية :

سلسلة متكاملة تهدف إلى تقريب العلم الشرعي للراغبين فيه، وتوعية المسلم بما لا يسعه جهله من دينه، ونشرُ العلم الشرعي الرصين، القائم على كتابِ اللهِ وسنّةِ رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، صافيًا نقيًّا، وبطرحٍ عصريٍّ مُيسّرٍ، وبإخراجٍ احترافيٍّ.



كتاب العقيدة :

يحتوي هذا الكتاب على بيان معنى العقيدة وأهميتها، ومصادر تلقيها، وأصول أهل السنة في إثباتها، وبيان معنى التوحيد ومنزلته وأثره، وأركانه وأقسامه، والآثار الإيمانية المترتبة عليه، وأدلة وجود الله تعالى من غير الشرع. مع عرض المحتوى بطريقةٍ عصريةٍ مبسطة وأسلوبٍ سهلٍ شيق خالٍ من الحشو والمخالفات.















نشر 

المملكة العربية السعودية - جدة
حي الشاطئ - بيوتات الأعمال - مكتب ١٦
موبايل: 6432 444 50 966+، هاتف: 6929242 12 966+
ص.ب: 126371 جدة 21352
www.zadgroup.net

توزيع العبيكان Obeikan
المملكة العربية السعودية - الرياض
طريق الملك فهد - مقابل برج المملكة
هاتف: 4808654 11 966+، فاكس: 4808095 11 966+
ص.ب: 67622 الرياض 11517
www.obeikanretail.com

ISBN: 978-603-8234-18-1

